السيد حيدر الحسيني

# علي والإمامة

مفهرس ٤٨٠٧

طرح لمفهوم الأمامة لما جاء في كتاب الله والسنة النبوية وفي الكتب السماوية الأخرى . وبيان مركز الأمامة الربانية في ظل سلطة تشريعية عليا لهي الله تعالى وسلطتين قضائية وتنفيذية من بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف هاتف ٢٠٩٧

هدية ورثة آية الله
السيد محمد حسن الرضوي
لمكتبة الروضة الحيدرية

٥ ح
٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم
الحكيم *

بســـــم الله الرحمن الرحيـــم

« أنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكـل شيء أحصيناه في إمام مبين » •

« اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر . وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، وسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز » •

علي بن أبي طالب « كرم الله وجهه »

« يا دنيا يادنيا ، إليك عني ! أبي تعرضت ؟ ام الي تشوقت؟ لاحان حينك ! هيهات ! غري غيري ، لا حاجة لي فيك ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ! آه من قلة الزاد ، وطول الطريق ، وبعد السفر ، وعظيم المورد ! » •

علي بن ابي طالب « كرم الله وجهه »

بســـــم الله الرحمن الرحيـــم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

إن مفهوم الامامة كثيراً ما طرح على بساط البحث في مجالس فردية وعلى مستوى الجماعات والمذاهب ، وإن أساتذة قديرين قد كتبوا في الأمامة ، وذلك للأهمية التاريخية المترتبة على أهمية وجود الأمام بالنسبة إلى أي شعب من الشعوب أو امة من الامم ، فـلابد للجماعة من منقذ يدلهم على اتجاه مسيرتهم وبالنسبة للمجتمع الاسلامي يكون الأمام ممثلاً للسلطة التنفيذية العليـا للحكومة الأسلامية من بعد النبي ( ص ) ، وهذا يستوجب في الامام (ع) سلطته الربانية ، في كون ان أولي الأمر في الحكومة الأسلامية الشرعية معبرين شرعيين عن مجموعة القوانين والدساتير والاحكام المتضمنة كتاب الله والسنة النبوية المقدسة .

وهذا التأريخ حافل ، ولا سيما تأريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، فإن لله عز وجل خليفة في الارض ورسول يعمل كالوسيط بين العابد والمعبود ، فاذا قضى الرسول تبوء وصية مهمة إداء

ما حمّله النبي ، فكما أن شيث حمّل الأمر بعد آدم ويوشع بعد موسى وآصف بعد سليمان وشمعون بعد عيسى ، فكذا وجب الأمر بعد رسول الله محمد ( ص ) ، اذ لا نبي من بعده تحمّل مهمة إتمام مسيرته على هدى آرائه وسننه وما اعطاه الله عز وجل من قوانين ودساتير تحكم البشرية بها على يد هذا النبي الأمي محمد ( ص ) ، فعلى مرأى ومسمع من الامة ، وبعد رجوع النبي ( ص ) من حجة الوداع وفي اجتماع مهيب يضم من الوجوه ألمعها ، إستدعى رسول الله ( ص ) علياً ( ع ) ورفع بيده وقال :

« أيها الناس ألست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى يارسول الله ( ص ) قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه » ، فقد علم رسول الله ( ص ) ، أن الأمة على اعتاب فتنة وانشقاق ، فآثر الصمت حتى لا يخترم صلب الرسالة ، فرأى من باب الوجوب أن يوصي أمته من بعده على الطريق النيّر الذي لا طريق سواه يوصل الأمة الى الهدف الاسمى المرسوم ، فقال ( ص ) « يا أيها الناس اني تركت فيكم ما أن اخذتم به لن تظلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ، ولكن قدرَ ما قدر ، وأضحى تراث النبوة نهب الآراء والاهواء والأجتهادات ، يقول

شاعرهم ، دعبل بن علي الخزاعي :

ولم تك إلا محنة كشفتهم  بدعوى ضلال من هن وهنات

تراث بلاقربى، وملك بلاهدى  وحكم بلا شورى بغير هداة

فقد أحدث هذا ثغرة في جدار الحقيقة ، وانتقل الخلاف من القشور إلى اللباب ، ومن ثم على مستوى المذاهب ، وكان رسول الله ( ص ) ، يتوقع ما قد يحدث من بعده من خلاف ، فقد كان يجد في حياته أثاراً لمثل هذا الخلاف بين المهاجرين والانصار تارة ، وبين المهاجرين انفسهم تارة أخرى ، إلا أن القرآن الكريم ورسول الله ( ص ) ، كانا يحذران من هذا الخلاف المحض ، والذي كاد أن يزعزع أركان الرسالة الى حين ، قال عز من قائل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخواناً » (١) ، كما قال تعالى في كتابه الكريم :

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا ، فتفشلوا وتذهب ريحكم » (٢) .

إن معرفتنا للحق يجب ارجاعها الى القرآن الكريم ، فهو

---

(١) سورة آل عمران : ٩٩ .

(٢) سورة الانفال : ٤٩ .

الهدى ، وهو الحقيقة العليا ، « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٣) ، وفي قوله عز وجل : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » (٤) .

إن القرآن يقن موقف القوة الحائلة دون الاخذ بالخلاف وتشويه الحقائق ومسخها ، « هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ، من هذا يتضح ما وصلت اليه أزمة الخلاف والتي أحسها رسول الله (ص) بعمق ، وصح اعتقاده ( ص ) ، فقد حدث الخلاف فعلاً بحضوره وهو ( ص ) على فراش الموت ، فعندما هم أن يوصي بالوصية الى علي ( ع ) نسب اليه بعض صحابته بأنه « يهجر » ، فقد أدرك رسول لله ( ص ) أن الخلاف لابد حاصل ، بل قد يصل الى جوهر الرسالة والتشريع ، فقد قطع عليهم خلافهم بكلام حاسم

(٣) سورة الاعراف : ٢٠٣ .

(٤) سورة بني اسرائيل : ١١

« قوموا ، لاينبغي عند نبي نزاع » [٥] ، وهذا الزبير ينتزع سيفه ويقول : « والله لا اغمده حتى يبايع علي » [٦] ، وهذا الحباب ابن المنذر ينقض بسيفه على أبي بكر قائلاً : « والله لا يرد عليَّ أحد ما اقول إلا حطمت أنفه » [٧] .

انطلاقاً من هذا الواقع الحزين المليىء بالارتباك المشحون بالنزاع ، آثر الامام علي بن ابي طالب ( ع ) أن يعتزل الفتنة ، ويتنحى عن الطريق حفظاً لوحدة الاسلام من الانهيار « انهم والله سمعوها ووعوها ولكن غرهم زبرجها » ، « انها والله لشقشقة » « أما والله لقد تقمصها ابن أبي تحافة ، وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى اليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين ان اصول بيد جذاء او ان اصبر على طخية عمياء ، يهرم

---

(٥) جاء في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٣ ص ٩٧ حواراً بين ابن عباس وعمر بن الخطاب ، يقول فيه عمر : ولقد أراد ـ اي النبي ـ في مرضه أن يصرح بأسمه ـ اي علي ـ فمنعته من ذلك اشفاقا وحيطة على الاسلام .

(٦) الامام والسياسة ج ١ ص ١١ .

(٧) مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ .

فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهبا » .

فلو أن الامة قد ادركت الحقيقة آنذاك لتغير الواقع ولاختلف بهم قدرهم ، ولكن أنى لهم ذلك وتلك عقلياتهم ومفاهيمهم ، ورأينا ما رأينا من تألب الاشرار على امامنا علي ( ع ) ، فكأنه يبصر ولا يبصرون ويرى ولا يرون ويسمع ولا يسمعون ، ويظنون الأمان فيما لا أمان لهم ، ويرون الخوف فيما لا خوف عليهم منه ، وبين اليقين والشك ضاع تقديرهم للأمور ، واختبل سلوكهم . يميلون لليسار حين يقصدون اليمين ، ويسعنون في الشك وهم يحسبونه اليقين ، كالألى يخطف البرق أبصارهم فلا يرون إلا الظلمة ، وإن أنار ، كانوا لا يستطيعون رؤية الحقيقة فيما يقول ، فقد كان اكبر منهم إنسانية ، وكان فوق قدراتهم الفكرية والمنطقية ، فيحملهم عما هم على التكذيب ، ويقودهم جهلهم الى الانكار ، كما انكر المشركون والمنافقون على رسول الله ( ص ) رسالته ، فرأوها دعوة الى الصبوء لا دعوة الى الهداية ، ورأوها إرجاع لأصداء الشعراء والكهنوت والسحرة ، ولكنهم لم يروها كرسالة ربانية آلهية ، فكلما أفصح لهم عن احداثهم المكنونة

كذبوه ، وأفتروا عليه ، والصقوا به الادعاء ، بعضهم عن حماقة وجهل وبعضهم نفاقاً ومراءاة ، فكأنما نسوا ما مر بهم من شواهد صدقه الماثلة امام العيان والراسخة في الأخلاد والاذهان ، وكم أظهرت لهم الامثال الحقائق ، فتلك مغيباته عن فتنة الخارجة ، ومصارع اهل النهروان وقصة المخدج ذي الثدي ، وآل سفيان وآل امية ، فلم يكن علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) من يستقريء النجوم ولا يرجم بالظن ، ولا يلتجيء الى الكهانة ، فكان يرمي ببصره الى ما وراء المعلوم المنظور ، ليأتهم من المجهول المستور ، فقد سمعوه يقول : « اذا حدثتكم عن رسول الله فهو كما حدثتكم ، فو الله لأن أخر من السماء أحب إلي من ان اكذب على رسول الله » ، فقد اتهموه بالكذب ، وهذا إفتراء مدحوض : « بلغني أنكم تقولون : علي يكذب .. قاتلكم الله ! فعلى من اكذب ؟ .. أعلى الله ؟ فأنا أول من آمن به ! .. ام على نبيه؟.. فأنا اول من صدق به ! كلا والله ! لكنها لهجة غبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها » ، ثم يعود ويقول بعقله اللماح كان يومىء به الى المستقبل بعلم مكنون :

« ويل أمة كيلاً بغير ثمن ، لو كان له وعاء ! ولتعلمن نبأه بعد حين » فقد كان يسخو عليهم من علمه ، ومما وعى من علم

ربه وعلم نبيه ، إلا أنهم يجحدونه بعقولهم الخاملة الجاهلة والتي يحيون بها ، وليس هي بحياة ، بل موت أبدي .

فكان يدعوهم :

« ها إن بين جنبي علماً جماً لو أجد من يحمله » .

فقد أهاب بهم ذات يوم ، مشيراً الى اللامبالاة واللا تطلع الدفين في نفوسهم « اسألوني قبل ان تفقدوني ! فو الذي نفسي بيده ، لا تسألونني عن شيء بينكم وبين الساعة ، إلا اخبرتكم ، ولو قد فقدتموني ، ونزلت بكم كرائه الامور ، وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين ، وفشل كثير من المسئولين ، وذلك اذا قلصت حربكم ، وكانت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم » .

ثم كرر عليهم نداءه مرة أخرى ، ممنياً نفسه أن يجد بينهم من يسمعه وينصت ويتأمل ولكن أوغلوا في الضلال والأفتراء ، وكانوا الى المكابرة والأدعاء أسرع : قال « والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ، ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة الى ان تغيب الشمس ، لا أخبرتكم إلا حقاً ، ثم لتخرجن فلتزعمن أني اكذب الناس وأفجرهم » .

ثم إذ ذاك خطب فيهم خطبة نزع فيها الى الايماء دون

الافصاح وإلى التلميح دون التصريح ، مشيراً إلى ما سوف يلحق القوم من أخطار وهوال ، ومن أمر الكوارث التي تزحم ايامهم حتى يقيض الله لهم من يناديه الامام من وراء ستر العيوب .

« .. يا ابن خيمة الإماء ! متى تنتظر ! .. أبشر بنصرقريب من رب رحيم .. الا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين ، وقتل الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم ! فبأبي وأمي من عدة قليلة ، اسماؤهم في الارض مجهولة ، قد دان حينئذ ظهورهم » .

ثم يلفت الناس الى ما يدخره الزمن لهم من سوء المآل ، وانه ليقصد في اخبارهم قصداً قليلاً مخافة عليهم من الجزع ، وخوفاً عليهم أن يضلهم الافتتان ، فلم يكن في جوهرهم لباً ، ولافي افكارهم علماً « لو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ، ونوائب زمانكم ، وبلايا أيامكم ، وغمرات ساعاتكم ، ولكن أفضيه إلى من افضيه مخافة عليكم ، ونظراً لكم ، علماً مني بما هو كائن وما يكون من البلاء الشامل » ، ثم حذرهم العقبى من تماديهم بشرورهم واصفاً لهم الأهوال المنتظرة ، مشيراً إلى الأوان الذي يجنون فيه ما بذرت أيديهم .

« ذلك عند تسرد الاشرار ، وطاعة أولى الخسار .. ذلك عند ظهور العصيان ، وإنتشار الفسوق . . حين لا تنال المعيشة إلا

بمعصية الله في سمائه .. حين تسكرون من غير شراب ، وتحلفون من غير اضطرار ، وتظلمون من غير منفعة ، وتكذبون من غير إحراج ، تتفكهون بالفسوق ، وتبادرون بالمعصية ، قولكم البهتان ، وحديثكم الزور ، واعمالكم الغرور » ، حتى اذا أكمل كلامه آسفاً حزيناً ما آل اليه المآل ، رمى ببصره الى بعيد ، كأنما يستقريء القدر المحتوم :

« عند ذلك لا تأمنون البيات .. ويا له من بيات ما أشد ظلمته ! ، عند ذلك تقتلون ، وبأنواع البلاء تضربون ، وبالسيف تحصدون ، والى النار تصيرون .. فيا عجباً كل العجب من جميع أشتات ، وحصد نبات ! سبق القضاء ! سبق القضاء » .

هذا علي الانسان ، هذا علي الوصي ، هذا علي الامام ، في قوله هذا خليقاً أن يحرك عجبهم فلا عجب فقد ارتوى ( ع ) من علم رسول الله ( ص ) وكانت دهشتهم أوصلتهم الى الشك المحض ، ثم ضجوا الى المغالاة في شأنه من نقيض الى نقيض ! ، بعضهم أنكر فقال :

« بالله وللدعوى الكاذبة ! » ، وبعضهم أيد فقال « أشهد انك رب العالمين ! » فقد غالوا في الحالتين .

رحم الله أبا الحسن ( ع ) وطاب مقامه حياً وميتاً ، ما مات

والله . إنه حي في قلوبنا ، بين الناس ، إن علي بن أبي طالب (ع) هو القمر المنير في سماء لياليا المظلمة ، إن علي ( ع ) هو وجه التأريخ الاسلامي بعد رسول الله ( ص ) ، ولقد خاب الدساسون وخسر المتبارون . عمدوا الى اسقاط مكانته من التأريخ « ألا لعنة الله على الظالمين » . ولم يدركوا ما يبغون ، فانهم يخبطون خبط عشواء ، إن التأريخ الاسلامي بدون علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، مصغر الصفحات ، شاحب السطور ، فقد كان علي ( ع ) ـ ويكون ـ كرامة من الكرامات على مر الدهور .

اللهم وفقنا من أجل ايصال الحرف الخير إلى الضمير الانساني ، لرفع كلمة الاسلام والمسلمين ، والله ولي التوفيق ، والصلاة والسلام على محمد ( ص ) وعلى آله الطيبين الطاهرين عليهم السلام أجمعين .

١٠ / رمضان / ١٣٩٣

حيدر عبد الجبار الحسيني ـ النجف الاشرف

اشار علماء الكلام في معنى الامامة ما نصه « الامامة رئاسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص انساني » [٨] ، وهذا يعني أن الامام يمثل السلطة العليا من باب التشريع والدين والدنيا ، والزعيم الروحي لهذه المجموعة البشرية والذي وصم بقيادتها انسانياً ووليّها بشرياً .

يحدثنا العلامة الحلي في كتاب الألفين يقول :

« وقيل الامامة عبارة عن خلافة شخص من الاشخاص للرسول ( ص ) في إقامة قوانين الشرع وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على الامة كافة » [٩] .

وجاء في المقاصد ان الامامة هي « رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا ، خلافة عن النبي ( ص ) » [١٠] وجاء في كفاية الموحدين « الامامة هي الرئاسة العامة الآلهية خلافة عن الرسول ( ص ) في أمور الدين والدنيا ، بحيث يجب اتباعه على كافة الامة » [١١] .

---

(٨) حياة الامام موسى بن جعفر دراسة وتحليل للاستاذ باقر شريف القرشي .

(٩) الالفين ص ٣ تأليف العلامة الحلي .

(١٠) دلائل شرح المقاصد ج ٢ ص ٤ .

(١١) كفاية الموحدين ج ٢ ص ٢ .

تظهر لنا هذه المفاهيم اللغوية في خطبة حجة الوداع في غدير خم ما جاء متواتراً ، « ان النبي ( ص ) لما رجع من حجة الوداع نزل بغدير خم وقت الظهر ووضعت الاحمال شبه المنبر وخطب الناس واستدعى علياً ورفع بيده وقال أيها الناس الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى يا رسول الله ( ص ) قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وادر الحق معه »[١٢] وكرر ذلك عليهم ثلاثاً.

روي عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الكوفي[١٣]، قالت سمعت أبا سعيد الخدري يقول ان رسول الله ( ص ) دعا

---

(١٢) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية تأليف الشيخ محمد علي قسام رحمه الله ــ تعليق سماحة العلامة الشيخ علي قسام ص ١٦٤ .

(١٣) وهو سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، والمتوفى حدود سنة ٩٠ هـ ، وقال فيه الامام الصادق عليه السلام : « من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئا وهو ابجد الشيعة وهو سر من اسرار آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم » .

الناس بغديرخم فأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقام — وكان ذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس اليه وأخذ بضبع علي بن ابي طالب عليه السلام فرفعها حتى نظرت إلى بياض ابط رسول الله ( ص ) فقال « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله » قال ابو سعيد فلم ينزل حتى نزلت هذه الآية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فقال رسول الله ( ص ) الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وبولاية علي من بعدي فقال حسان بن ثابت يارسول الله إئذن لي لأقول في علي أبياتاً فقال قل على بركة الله ، فقال حسان يامشيخة قريش اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله (ص):

لم تعلموا ان النبي محمداً لدى دوح خم حين قام مناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم وان انت لم تفعل وحاذرت باغياً
عليك فما بلغتهم عن آلهم رسالته إن كنت تخشى الاعاديا
فقام به اذ ذاك رافع كفه بيمنى يديه معلن الصوت عاليا
فقال لهم من كنت مولاه منكم وكان لقولي حافظاً ليس ناسيا
فمولاه من بعدي علي وانني به لكم دون البرية راضيا

فيا رب من والى علياً فواله وكن للذي عادى عليا معاديا
ويارب فأنصر ناصريه لنصرهم امام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا
ويارب فأخذل خاذليه وكن لهم اذا وقفوا يوم الحساب مكافيا

والمراد بالولي هنا هو الاولى وهذا عين ما يدل عليه قول النبي ( ص ) ، ألست اولى بكم من انفسكم ويشير هذا تماماً إلى الدليل الناصع في ولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، أن النبي ( ص ) عندما دعى القوم الى سماع الخطبة ، لم يدعهم إلى سماع شيء مستحب مع حرارة الجو المشهود ، وطول الترحال ، وانما كان من باب الوجوب بأن علياً ( ع ) هو الأولى بهم .

قال عز من قائل « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (١٤) ، فقد أكد علماء اللغة بأن ( إنما ) المراد بها في الآية الكريمة هي أداة للحصر ، ولو لم تكن انما أداة للحصر لم يتم افتخاره هذا ، كما أن المراد بالولي أما ان يكون هو الاولى بالتصرف او الناصر، والمعنى الثاني باطل لأن ليس هناك ما يشير الى ذلك في الآية ولعدم اختصاص النصرة بالذكر ، وهذا يدعونا الى الأخذ بالمعنى

(١٤) سورة المائدة : ٦٥ .

الأول وهو التصرف كما ان « الخطاب للمؤمنين لأن الآية السابقة المتقدمة عليها بلا فصل ، يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه (١٥) ثم قال سبحانه وتعالى إنما وليكم الله ورسوله فيكون الضمير عائداً اليهم حقيقة » (١٦) ، كما أن المراد في الآية المزبورة (١٧) ، الذين آمنوا هو بعض المؤمنين وليس على باب العموم وذلك لوجهين ، ولا انه لو كانت على باب العموم لكان كل واحد ولياً لنفسه وهو باطل ، يقول امامنا علي ( ع ) من كلام له :

« وما كل ذي قلبٍ بلبيب ، ولا كل ذي سمع بسميع ، ولا كل ناظر ببصير ، فيا عجبي ، ومالي لا أعجب ، من خطإ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ! يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف عندهم ما عرفوا ، والمنكر عندهم ما نكروا (١٨) مفزعهم في المعضلات الى أنفسهم ، وتعويلهم في

---

(١٥) سورة المائدة : ٥٤ .

(١٦) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٦٥ .

(١٧) المزبورة : أي المتقدمة الذكر .

(١٨) اي يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع الى دليل بيّن أو شريعة واضحة .

المهمات على آرائهم ، كأن كل امريء منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات (١٩) » (٢٠) .

ثانياً أن الله عز وجل وصف هؤلاء بوصف غير حاصل لجميعهم بل لبعضهم وهو حال كونهم إيتاء الزكاة حال الركوع ، وقد أجمع كل المفسرين والفقهاء على ان هذه الآية نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقد أجمع كل المفسرين بأن الامام علي ( ع ) كان يصلي فجاء سائل يسأله فأعطاه خاتمه وهو راكعا. وفي كون ( ع ) هو الاولى بالتصرف فينا وهو الوتي علينا فتعين أن يكون هو الأمام لأننا لا نعني بالأمام إلا ذلك ، اي هو الولي في التصرف بالرعية ، بل ان هذا من اكبر الأدلة على ثبوت إمامته ( ع ) ، والتي هي كالشمس لا يحجبها حجاب .

يقول شاعرهم :

وليس يصح في الأفهام شيء  اذا احتاج النهار الى دليل

كما ان من الأدلة على ثبوت امامته ( ع ) ظهور المعاجز على يده ، والتي تضعه في مركز الأعلمية ، وفوق إدراك البشر ، وهذا

---

(١٩) يثق كل منهم بخواطر نفسه كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى ، على ما بها من جهل ونقص .

(٢٠) روائع نهج البلاغة ــ جورج جرداق ــ ص ١٧٣ .

ينطلق من كونه وصي لنبي والذي يوجب أن يكون اعلم ابناء زمانه ، والاشعار في هذا الباب هي اكثر من أن تحصى ، ومن معاجز علي ( ع ) والدالة على ثبوت إمامته رد الشمس له حتى أدى فرضه للصلاة ثم عادت الى موضعها في الفلك وقد استفاضت بذلك الأخبار ورواه أهل السير والآثار ونظمت فيه الشعراء الأسفار ، ومن رواه الثعلبي في تفسيره ، وابن مندة في المعرفة والنضيري في الخصائص ولأبي بكر الوراق كتاب ضمنه طرق الروايات الدالة على رد الشمس لعلي عليه السلام ، فقد ردت له الشمس مرتين ، مرة في حياة رسول الله ( ص ) ومرة بعد وفاته ، أما الأولى فكانت في خيبر وقد ذكرها الطحاوي في مشكل الحديث .

« عن اسماء بنت عميس ان النبي ( ص ) كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي عليه السلام فلم يصلي العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ( ص ) أصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله ( ص ) اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس ، قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبل والارض » [٢١] .

---

(٢١) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية تأليف الشيخ

وهذا الحديث ثابت رواه الثقاة ، وحكى الطحاوي أن أحمد ابن صالح يقول ، لاينبغي لمن سبيله انعلم التخلف عن حفظ هذا الحديث فاتّه من اعلام النبوة ، وقال السيد المرتضى علم الهدى قدس سره في شرح القصيدة البائيـة المعروفة بالذهبية للسيد الحميري حيث قال :

ردت عليه الشمس لمـــا فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

« وقال علم الهدى رضي الله عنه « انه صلى مؤمياً وهو جالس (٢٢) لما تعذر عليه القيام اشفاقاً من ازعاج النبي ( ص ) وعلى هذا تكون فائدة رد الشمس ليصلي مستوفياً لأفعال الصلاة، وتكون فضيلة له ودلالة على عظم شأنه » (٢٣) .

وروى صاحب كتاب معاهد التنصيص في شواهد التلخيص في باب التلميح (٢٤) عند قول الشاعر :

---

محمد علي قسام رحمه الله ، تعليق سماحة العلامة الشيخ علي قسام ص ١٦٩ .

(٢٢) كما جاء في ينابيع المودة .

(٢٣) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٧٠ .

(٢٤) لمّح الى الشيء تلميحا اشار اليه ، ولمح الشيء بغير تشديد ابصره بنظر خفيف .

نو الله ما ادري أحـلام نائم  المت بنا ام كان في الركب يوشع[٢٥]

وذكر هنا شاهد التلميح به في يوشع واستشهد بأبيات في هذا الباب في مقصورة ابن حازم في قوله :

وظني ان الشمس قد عادت له  فأنجاب جنح الليل عنها وانجلى
والشمس ما ردت لغير يوشع  لمـا غزى ولعـلي اذ غفـا

قال صاحب التنصيص انه لمح فيها الى قصة يوشع وصي موسى (ع) والذي ردت له الشمس مرة ، وقال صاحب التنصيص يحكى ان المظفر المروزي الواعظ جلس يوماً بالناحية ببغداد بعد العصر وأورد حديث رد الشمس ، وأخذ في ذكر فضائل علي عليه السلام ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن انها غابت فأومأ اليها وارتجل أبياتاً قال فيها :

لا تغربي ياشمس حتى ينجلي  مدحي لآل المصطفى ولنجـله
واثني عنانك إن اردت ثنائهم  انست إذ كان الوقوف لأجـله
إن كان للمولى وقوفك فليكن  هذا الوقوف لخيله ولرجـله

وأما رجوع الشمس لعلي ( ع ) بعد وفاة رسول الله (ص) فما اكثر الأخبار فيها والسير والآثار ، يقول السيد الحميري في

---

(٢٥) يوشع المراد به هنا هو وصي موسى عليه السلام ، وكان اعلم ابناء زمانه .

قصيدته البائية :

وعليه قـد حبست ببابل مرة أخرى ، وما حبستلخلق معرب

إلا ليوشع أوله ولردهـا ولحبسها تأويـل امر معجب

ويذكر السيد المرتضى قدس الله سره يتضمن البيت الاول الاخبار الواردة في رد الشمس للامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، منها ما رواه جويرية بن معهد :

« قال قبلنا مع امير المؤمنين عليه السلام في قتال الخوارج حتى صرنا في ارض بابل ، حضرت صلاة العصر فقال امير المؤمنين عليه السلام أن هذه الارض من المؤتفكات (٣٦) وقد عذبت مرتين أو قال ثلاث فلا يحل لنبي أو وصي نبي ان يصلي فيها وعطف برأس بغلته الدلدل (٣٧) .

---

(٣٦) هي القرى التي انقلبت بأهلها كقرية قوم لوط وقيل البصرة احدى المؤتفكات لأنها غرقت مرتين فشبه غرقها بأنقلابها .

(٣٧) اسم لبغلة رسول الله ( ص ) التي اهديت اليه وقد اعطاها لأمير المؤمنين عليه السلام في حال حياته ( ص ) وكانت عظيمة الجثة قصيرة العنق قوية الابصار في الليل مستقيمة في مشيها شبهت بالدلدل وهو القنفذ .

فقلت لاقلدنه اليوم صلاتي حتى جاز سوراء [٢٨] وقد غربت الشمس فنزل وقال ياجويرية اذن للعصر فأذنت وتكلم بكلام لم افهمه قال والله لقد رأيت للشمس صريراً او انقضاضاً حتى عادت

(٢٨) اسم موضع قريب من بابل ويعرف عند البلدتين من العرب بنهر سورا ، وذكر ابن سرابيون انه هو نهر الفرات الحالي بتغير قليل في موضع مجراه ولم يكن يومئذ لمدينة الحلة أثر ولا عين ، ونقل المجلسي رحمه الله عن مجموعة الشهيد بخط الشيخ محمد الجباعي مسنداً عن الاصبغ بن نباتة قال صحبت مولاي أمير المؤمنين ( ع ) عند وروده الى صفين وقد وقف على تل يقال له تل عرير ثم الى أجمة ما بين بابل والتل ، وقال مدينة واي مدينة فقلت يامولاي أراك تذكر مدينة ، اكان هناك مدينة وانمحت آثارها ، فقال لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة السيفية يسدنها رجل من بني اسد يظهر بها قوم اخيار لو اقسم احدهم على الله لأبرّ ــ قسمه ، وقال ياقوت في معجمه ، كان من عمّر الحلة ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي ابن فريد وذلك في محرم سنة ٤٩٥ وكانت قبل هذا ، أجمة تأوى اليها السباع فنزل بها بأهله وجيشه وبنى بها المساكن الجليلة وقصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق .

بيضاء نقية فقال أقم فأقمت ثم صلى بنا وصلينا معه [٢٩] .

ان معجزة رد الشمس يذكرها كل المؤرخين ، وهي من اكبر الأدلة على ثبوت إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو الوصي والعالم والمفكر والعادل « انا من أحمد كالضوء من الضوء » :

يقول شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي في تائيته النائحة الذائعة :

أخو المصطفى بل صهره ووصيه ... من القوم والستار للعورات

كهارون من موسى على رغم معشر ... سفال لئام شقق البشرات

فقال : ألا من كنت مولاه منكم ... فهذا له مولى بعيد وفاتي

أخي، ووصي، وابن عمي، ووارثي ... وقاضي ديوني من جميع عداتي

ويقول دعبل في موضع آخر من القصيدة جاء فيه :

سقياً لبيعة أحمد ووصيه ... أعني الامام ولينا المحسودا

اعني الذي نصر النبي محمداً ... قبل البرية ناشئاً ووليدا

جاء في امالي الشيخ ١٥٨ ، عن ابن عقدة ، عن محمد بن أحمد القطوني ، عن ابراهيم بن أنس ، عن ابراهيم بن جعفر ، عن ابي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند

---

(٢٩) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٧١ .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال النبي ( ص ) : قد اتاكم اخي ثم التفت الى الكعبة فضربها بيده ثم قال : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ثم قال : إن أولكم ايماناً معي واوفاكم بعهد الله واقومكم بأمر الله واعدلكم في الرعيـة واقسمكم بالسوية واعظمكم عند الله مزية قال : فنزلت « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية (٣٠) ، وفي امالي الشيخ اذا اقبل خير البرية (٣١) .

من خلال هذا الطرح يظهر أنه لمـا كان الامام هو اولى التصرف بحقوق الرعية وجبت الحاجة الى هذا الامام ، وجبت الحاجة الى هذا الشخص الانساني ، الى رئاسة العامة في شؤون دينهم ودنياهم .

إن الشريعة الاسلامية عبارة عن مجموعة من الشرائـع والاحكام ، وفيها الواجب الذي يثاب عليه الفرد المسلم حين اتيانه ويعاقب عليه عند تركه ، والمستحب الذي يثاب عليه حين اتيانه

---

(٣٠) سورة البينة : ٧

(٣١) بحار الانوار تأليف العلامة محمد باقر المجلسي ج ٣٨ ص ٤ في تأريخ أمير المؤمنين .

ولا يعاقب عليه عند تركه ، والمكروه الذي يثاب على تركه ويعاقب على اتيانه ، لذلك وجب تاريخياً وجود الامام لما في هذه الشريعة من احكام حدية لا يمكن للعامة ان يبتوا فيها بما فيه من حلال او حرام او أمر في معروف او نهي عن منكر ، ولما رأيناه من تشريعات فرعية مضطربة ظهرت عرضياً تعتمد على الرأي في كثير من الامور الفقهية ، وأصحابها يستنبطون الاحكام من المضامين الداخلية للنصوص والاحاديث ، أو يطرقون باب الاجتهاد في النصوص وهذا ما يعرف ( بالاجتهاد مقابل النص ) ، وهذا غير مباح في ابواب الفقه وغير مطابق للقاعدة المعروفة « لا اجتهاد مع نص » ، علماً بأن استنباط الاحكام من النصوص يكون أبداً داعية الى انتهاج القياس في الاحكام ، وهذا مؤدي حتماً الى البلوغ إلى مقدمة تقل عن الحكم الأصلي نصاً ومفهوما « ونريد بالاستنباط : كل استدلال لاتكبر نتيجته المقدمات التي تكون منها ذلك الاستدلال ، ففي كل دليل استنباطي ، تجيء دائماً مساوية أو أصغر من مقدماتها ، فيقال مثلاً محمد انسان ، وكل إنسان يموت ، فمحمد يموت ، ويقال أيضاً : الحيوان إما صامت وإما ناطق ، والصامت يموت ، والناطق يموت ، فالحيوان يموت . ففي قولنا الاول ، استنتجنا ان محمد يموت بطريقة استنباطية ،

وهذه النتيجة أصغر من مقدماتها لأنها تخص فرداً من الأنسان وهو محمد ، بينما المقدمة القائلة : كل انسان يموت تشمل الأفراد جميعاً ، وبذلك يتخذ التفكير في هذا الاستدلال طريقه من العام الى الخاص ، فهو يسير من الكلي إلى الفرد ، ومن المبدأ العام الى التطبيقات الخاصة ، ويطلق المنطق الارسطي على الطريقة التي انتهجها الدليل الاستنباطي في هذا المثال اسم القياس » (٣٢) .

نستدل من هذا أن الأستنباط طريق مؤدي الى التقليص ، وهذا التقليص الساري في النص هو اسلوب قياسي يحمل على محمل الرأي والأجتهاد ، كما أن الشريعة الأسلامية المقدسة لاتأخذ بالقياس بل بالأستقراء النصي للحكم .

ويؤكد السيد الصدر « أن ارسطو قد اعتبر هذا الاستقراء هو الأساس للتعرف على المقدمات الأولى التي يبدأ منها تكوين الأقيسة ، فان هذه المقدمات الرئيسية التي ترتكز عليها مجموع الاقيسة ، لا يمكن التعرف عليها عن طريق القياس ، بل الطريق الوحيد لمعرفتها هو الأستقراء الكامل ، لأننا عن طريق القياس إنما نبرهن على ثبوث المحمول للموضوع ، أي الحد الاكبر للحد

---

(٣٢) الاسس المنطقية للاستقراء ص ٥ ، تأليف السيد محمد باقر الصدر .

الأصغر بواسطة الحد الأوسط الذي بدوره محمول للأصغر وموضوع للأكبر ، واذا حاولنا ن نبرهن قياسياً على ثبوت الحد الأكبر للأوسط ، أو الأوسط للأصغر فلابد لنا ن نظفر بالحد الاوسط بينهما ، وهكذا حتى نصل في تسلسل متصاعد الى المقدمات الأولية التي يثبت فيها المحمول للموضوع بذاته ، وبدون وسيط بينهما ، وفي هذه المقدمات لا يمكن أن نستخدم القياس في البرهنة على ثبوت المحمول للموضوع ، لأن القياس يتطلب وسيطاً بينهما ولا وسيط بين الموضوع والمحمول في هذه المقدمات، فالطريق الوحيد الممكن افتراضه في رأي أرسطو للبرهنة على هذه المقدمات هو الاستقراء الكامل » (٣٣) .

من خلال ما تقدم يظهر بجلاء أهمية وجود الامام ، تلك الشخصية اللامعة في عالم الانسانية ، والذي يمنع على القياسيين هدم الشريعة وحمل النصوص بما يتلائم مع اهوائهم وآرائهم ، وذلك لمركزه الآلهي ووصايته لنبي الامة ( ص ) .

يقول ابن تيمية :

« ان ولاية الناس من اعظم واجبات الدين ، بل لاقيام للدين

---

(٣٣) الاسس المنطقية للاستقراء ، تأليف السيد محمد باقر الصدر .

الأبها ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصرة المظلوم وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل ، وإقامة الحدود ، والا تتم إلا بالقوة والامارة » (٣٤) .

يقول امامنا علي عليه السلام في رسالة كتبها الأشتر النخعي لما ولاه ولاية مصر ، وأعمالها في عهد الخلافة ، يظهر لنا من الرسالة التي هي من جلائل رسائله ووصاياه وأجمعها للقوانين والمعاملات ، وهي أروع ما انتجه العقل البشري في تقرير علاقة الحاكم بالمحكوم ، وهي الدليل القائم على أهمية وجود هـذا الانسان الامام في إدارة شئون الرعية وإقامة حدود الشريعة المثلى، حتى لكأن الامام عليه السلام في جملة ما ورد في رسالته الى الاشتر النخعي ، قد سبق عصره اكثر من ألف سنة ، انها دستور العقل البشري النيّر :

« ثم اعلم يامالك أني قد وجهتك الى بلادٍ قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت فيه امور من الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الذخائر اليك ذخرة العمل الصالح ،

---

(٣٤) السياسة الشرعية ص ١٧٢ .

فأملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك فإن الشحّ بالنفس الانصاف منها في ما أحبت او كرهت (٣٥) واشعر قلبك الرحمة للرعيـة ، والمحبة لهم ، واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان : إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل (٣٦) ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ (٣٧) فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ! ولا تندمن على عفوٍ ، ولا تبجحن بعقوبـة ولا تسرعن الى بادرةٍ وجدت منهـا مندوحة » (٣٨) .

---

(٣٥) الشح : البخل . يقول : انتصف من نفسك في ما أحبت وكرهت . أي ابخل بها ولا تمكنها من الاسترسال في ما احبت واوحي على صفائها ، كذلك بأن تحملها على ما تكره ان كان ذلك في الحق .

(٣٦) يفرط : يسبق . الزلل : الخطأ .

(٣٧) يؤتى على أيديهم : تأتي السيئات على ايديهم .

(٣٨) بجح بالشيء : فرح به ، البادرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل . المندوحة : المتسع الذي يسكن المرء

ويقول امامنا علي ( ع ) في موضع آخر من الرسالة « ولـ من جنودك نصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً [٣٩] وأفضلهم حلما : ممن يبطيء عن الغضب ، ويستريح الى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الاقوياء [٤٠] وممن لايثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لاتظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الامور وقلة استثقال دولهم [٤١] .

---

من التخلص .

(٣٩) الجيب : القلب .

(٤٠) ينبو : يشتد ويعلو . يأمر الحاكم بأن يولي من جنوده من لا يضعف أمام الأقوياء والأثرياء والنافذين بل يعلو عليهم ويشتد ليمنعهم من ظلم الضعفاء والفقراء والبسطاء .

(٤١) الحيطة : بكسر الحاء : مصدر ( حاط ) بمعنى : صان وحفظ ، يقول : ان مودة الرعية لا تظهر ونصيحتهم لا تصح إلا بقدر ما يرغبون في المحافظة على ولاتهم ويحرصون على بقائهم مدة حكمهم .

ويقول الامام عليه السلام في موضع آخر من الرسالة :

« ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك [٤٢] ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم [٤٣] ولا يتمادى في الذلة ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه [٤٤] واوقفهم في الشبهات [٤٥] وآخذهم بالحجج ، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، واصبرهم على تكشف الامور ، واصرمهم عند اتضاع الحق ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ، ثم أكثر تعاهد قضائه [٤٦] وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك » .

من الكلام المتقدم للأمام علي ( ع ) ، يظهر لنا بجلاء ووضوح

(٤٢) انتقال من الكلام في الجند الى الكلام في القضاة .

(٤٣) تمحكه : تغضبه .

(٤٤) لا يكتفي بما يبدو له بأول فهم وأقربه ، بل يتأمل ويدرس حتى يأتي على اقصى الفهم وأدناه من الحقيقة .

(٤٥) الشبهات ، جمع شبهة ، وهي ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ، فينبغي لرد الحادثة التي ينظر فيها الى أصل صحيح .

(٤٦) أي : تتبع قضاءه بالاستكشاف والتعرف .

كيدين ، بأن الامام القائم بأمر الرعية يكون عبارة عن موسوعة علمية يحيط بكل أركان الامة ، وهو الناظر لأمورها بعين متفحصة لا تخفى عليه خافية ، ولا يفوته حكم من الاحكام ، ينطق عن عدالة شخصه في إمامته ، إن الامام ذو علم فوقي لا تدركه العقول البشرية ، ولا يمكن أن يؤتي العقل البشري بما أوتي به الامام من العلم والادراك بمقتضيات الأمور . ان الرسالة المذكورة إلى الاشتر هي إنعكاس لشخص الامام في علمه الفوقي .

يظهر لنا مما تقدم انه يمكننا الجزم على أهمية وجود الامام من بعد رحيل أي نبي ، فكما أن شيث وصي ادم ويوشع وصي موسى ، وآصف وصي سليمان وشمعون وصي عيسى ، وكانوا أعلم علماء عصرهم بعد انبيائهم .

يقول امامنا علي عليه السلام في كلام له في علمه .

« سلوني .. فو الله لا تسألونني عن فئة تضل مائة ، أو تهدي مائة إلا انبأتكم بناعقها وسائقها .. ولو شئت أن اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت .. ولكن أخاف ان تكفروا في برسول الله .. والذي بعثه بالحق ، واصطفاه على الخلق ، ما أنطق إلا صادقا ، ولقد عهد الى بذلك كله ..

وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا افرغه في اذني » [٤٧] ، فلهذا وجب ان يكون الامام في المكان المناسب من الرعية ليتمكن من تأدية ما حمل من رسالات بعد نبيه ويحكم بسنن الله ، لذلك وجب أن يكون علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) ، وهو اعلم علماء عصره بعد رسول الله ( ص ) ، أن يكون هو الوصي ومبلغ رسالات النبي محمد ( ص ) ووارث علمه .

جاء عن مطير بن خالد ، عن أنس وقيس بن ماناه وعبادة بن عبد الله ، عن سلمان كلاهما عن النبي ( ص ) ، يا سلمان سألتني من وصي من أمتي فهل تدري من كان [٤٨] أوصي اليه موسى ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أوصي الى يوشع لأنه اعلم امته ، ووصي واعلم امتي بعدي علي بن أبي طالب [٤٩] .

ويروي المسعودي صاحب تأريخ مروج الذهب في كتابه اثبات الوصية ، في النص على وصاية علي بن أبي طالب (ع) .

---

(٤٧) الامام علي بن ابي طالب . ج ٨ ص ١٧٤ لعبد الفتاح عبد المقصود .

(٤٨) في المصدر لمن كان .

(٤٩) بحار الانوار ج ٣٨ ص ١ . تأليف العلامة شيخ الاسلام المولى محمد باقر المجلسي .

« روي إن الاسم الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً أعطا الله آصف بن برخيا منه حرفاً واحداً فكان من أمره في عرش بلقيس ما كان ، واعطى عيسى منه حرفين فعل بهما ما قص الله به ، واعطى موسى اربعة احرف واعطى ابراهيم ثمانية احرف واعطى نوحاً خمسة عشر حرفاً واعطى محمداً ( ص ) اثنين وسبعين حرفا واستأثر الله تعالى بحرف واحد فعلم رسول الله ما علمه الانبياء وما لم يعلموه فلما قرب أمره أنزل الله تعالى اليه من السماء كتاباً مسجلاً نزل به جبرئيل مع أمناء الملائكة فقال جبرئيل يا رسول الله مر من عندك بالخروج من مجلسك إلا وصيك ليقبض منا كتاب الوصية ويشهدنا عليه ، فأمر رسول الله من كان عنده في البيت بالخروج ما خلا أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال جبرئيل يا رسول الله ان الله يقرأ عليك السلام ويقول هذا كتاب بما كنت عهدت وشرطت عليك وأشهدت عليك ملائكتي وكفى بي شهيداً فارتعدت مفاصل سيدنا محمد ( ص ) فقال هو السلام منه السلام واليه يعود السلام صدق الله هات الكتاب ، فرفعه اليه فدفعه من يده الى علي وأمره بقراءته وقال هذا عهد ربي الي وأماتته وقد بلغت واديت فقال امير المؤمنين وانا اشهد لك بأبي أنت وأمي بالتبليغ والنصيحة والصدق على

ما قلت ويشهد لك سمعي وبصري ولحمي ودمي فقال له النبي أخذت وصيتي وقبلتها مني وضمنت لله تبارك وتعالى ولي الوفاء بها قال نعم عليّ ضمانها وعلى الله جل وعلا عوني ، وكان فيما شرطه فيها على أمير المؤمنين الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعداء الله والبراءة منهم والصبر على الظلم وكظم الغيظ وأخذ حقك منك وذهاب خمسك وانتهاك حرمتك وعلى أن تخضب لحيتك من رأسك بدم عبيط فقال أمير المؤمنين قبلت ورضيت وان انتهكت الحرمة وعطلت السنن ومزق الكتاب وهدمت الكعبة وخضبت لحيتي من رأسي صابراً محتسباً فأشهد رسول الله ( ص ) جبرئيل وميكائيل والملائكة المقربين علي أمير المؤمنين » (٥٠) .

قال الله تعالى في كتابه الكريم « انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » .

بهذا الشكل الجليل والأمر الجلي والرسالة الربانية ، تسلم علي بن أبي طالب عليه السلام بلاغ الوصاية وتحملها بشهادة ،

---

(٥٠) اثبات الوصية للامام علي بن أبي طالب عليه السلام . ص ١٢١ تأليف العلامة الجليل والمؤرخ المحقق والنسابة المدقق أبي الحسن علي المسعودي الهذلي صاحب تأريخ مروج الذهب المتوفى عام ٣٤٦ هجرية .

وكان جديراً بها ، وهذا تأريخ امير المؤمنين علي (ع) حافل بالمآثر والمعاجز والكرامات ، كان مأثرة في ولادته وحياته واستشهاده ، وهذه فاطمة بنت أسد والدة الامام عليهما السلام ، تنتظر وترقب ولادة مولود كان له السبق بالكعبة فقد رأى النور فيها وكان شرفاً لها ، ان ولادة علي ( ع ) في الكعبة شرفا للكعبة لا لعلي عليه السلام وكان علي ( ع ) اول من آمن بمحمد وكان اول من صدقه وأعانه ، وكان الضوء في الكفاح المرير مع الزمن الدوار ، فقد رفع كلمة الاسلام والمسلمين بعد رسول الله ( ص ) ، حيث كرّمه الله عز وجل بالوصاية لرسول الله ( ص ) ، وامامة الامة في سبيل إقرار الحقوق البشرية للمسلمين ورفع اسم الله عالياً ، رحم الله أبا الحسن عليه السلام ، وطاب مكانه في الدنيا والآخرة .

تقول فاطمة بنت أسد بعد أن طال انتظارها وكثر اصطبارها في ترقب المولود الجديد :

طال الترقب للميعاد اذ عدمت ... مني الحوائل ولداً من عناصيري

لما أتيت الى الكهان بشرني ... عند السؤال عليم بالمخابر

فقال يوعدني والدمع مبتدر ... يافاطم انتظري خير التباشير

نوراً منيراً به الأبناء قد شهدت ... والكتب تنطق عن شرح المزامير

اني بذاك فقد طال الطلاع إلى وجه المبارك بزهو في الدياجير (٥١)

وهذا علي عليه السلام في استشهاده ، كان عبداً مطيعا لله ، منقذاً لرسالة وصايته ، إلا انه ما انفك في تلك الساعة الحرجة وهي ساعة تخضيب لحيته من دم رأسه أن يكون الأنسان والوصي والامام في شخصه ونهجه ، فقد تكلم بكلام يرسم فيه حاضر الامة ومستقبلها ، إلا انه قد سبق القضاء ، ولله البداء .

فقد روي أنه لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وحمل الى منزله ، اجتمع اليه الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« كل امريء ملاق ما يفر منه والأجل تساق اليه النفس والهرب منه موافاته كم أطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله جل ذكره إلا اخفاءه هيهات علم مكنون ، أما وصيتي لكم فالله جل وتعالى الا تشركوا بـه شيئاً ، ومحمداً ( ص ) لاتضيعوا سنته ، اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم ما لم تشرد . وأكل امرؤ مجهوده ، وخفف عن الجهلة رب رحيم ، ودين قويم ، وامام عليم كنار في اعصار وذوي رياح تحت ظله غمامة ، اضمحل راكدها فحطها في الارض حبا ، جاوركم بعدي خيرها ، ساكنة

(٥١) اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب ( ع ) ، تأليف المسعودي ص ١٣١ .

بعد حركة ، كاظمة بعد نطق ليعظكم هدى وخفرت أطوافي ، إنه أوعظ لكم من نطق البليغ ، ودعتكم وداع امرىء مرصد للتلاق . غداً تروى آثارى ويكشف لكم عن سرايري ، عليكم السلام الى يوم اللزازم كنت بالامس صاحبكم وأنا اليوم عظة لكم وغداً مفارقكم ، إن أبق فأنا ولي دمي وإن فن فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى فأعفوا عفا الله عني وعنكم ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » (٥٢) بهذه الكلمات خط لهم حاضرهم ومستقبلهم ، وما يجب عليهم ان ينهجوه في سبيل واضح المعالم ، هو سبيل الله عز وجل ، فقد كان حامل أمين للوصاية ، وكان اماما يقتدى به ويستنار بفكره في حياته وبعد مماته جلت منزلته عليه افضل الصلاة والسلام .

روى أبو نعيم الاصفهاني فيما نزل من القرآن في علي (ع) .

« بالاسناد عن شريك بن عبد الله عن أبي اسحاق ، عن الحارث قال : علي عليه السلام نحن اهل بيت لا نقاس بالناس :

فقام رجل فأتى ابن عباس فأخبره بذلك فقال : صدق عليه السلام او ليس النبي ( ص ) لا يقاس بالناس وقد نزل في علي عليه السلام :

---

(٥٢) اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب ( ع ) تأليف المسعودي ص ١٥٣ .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (٥٣) .

وقال عز من قائل : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٥٤) وروى الحافظ أبو نعيم بالأسناد عن حبر الأمة ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) .

« من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليا من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهما وعلما، وويل للمكذبين لفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » (٥٥) .

وأخرج الصدوق في الاكمال بالأسناد الى سلمان قال : دخلت على النبي ( ص ) فاذا الحسين بن علي ( ع ) على فخذه وهو يلثم فاه ، ويقول أنت سيد ابن سيد ، أنت امام ابن إمام اخو إمام أبو الأئمة وانت حجة الله وابن حجته ، وأبو حجج تسعة من

---

(٥٣) بحار الانوار ج ٣٨ ص ٨ تأليف العلامة محمد باقر المجلسي .

(٥٤) سورة الاحزاب : ٣٣

(٥٥) حلية الاولياء ١ / ٨٦ .

صلبك تاسعهم قائمهم » (٥٦) .

وأخرج ابو نعيم الحافظ عن أنس قال : قال رسول الله (ص): يا أنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين ، قال أنس . فجاء علي ، فقام رسول الله ( ص ) مستبشراً فاعتنقه وقال له : أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما أختلفوا فيه بعدي .

وروى جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ( ص ) . يوم جمعة عشية رجم الاسمي ، يقول لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٥٧) .

ان امامة امير المؤمنين علي عليه السلام كالشمس في وضح النهار لا يحجبها حجاب ، يقول شاعرهم .

محبتهم دين وودهم هـدى  وبغضهم كفر ونصرهم تقوى (٥٨)

ويقول دعبل الخزاعي شاعر آل البيت في تائيته والتي تلاها

---

(٥٦) المراجعات ص ٢٢٨ للامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس الله سره .

(٥٧) صحيح مسلم كتاب الامارة ، سند الامام أحمد بن حنبل ٥ / ٨٩ .

(٥٨) مختصر اخبار الخلفاء ص ٢٦ .

على الامام الرضا عليه السلام .

أرى فيئهم في غيرهم متقسما وابديهم من ذيئهم صفرات

ويقول دعبل الخزاعي في قصيدة أخرى يصور فيها ما حل بأهل البيت من الخطوب والآلام :

وليس هي من الاحياء نعلمه من دي بمان ومن بكر ومن مضر
إلا هم شركاء في دمائهم كما تشارك إيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
ارى أمية معذورين إن قتلوا ولا ارى لبني العباس من عذر

ويثني ابو فراس الحمداني في بائيته المشهورة على آل بيت النبوة ويقول :

فدع ذكر قوم رضو بالكفاف وجاؤا الخلافة من بابها
هم الزاهدون هم العابدون هم الساجدون بمحرابها
هم الصائمون هم القائمون هم العالمون بادابها
هم قطب ملة دين الإله ودور الرحاء بأقطابها (٥٩)

سأل الأمام علي عليه السلام عن سبب عدم قناعته في البيعة لأبي بكر ، ينقلها الامام محمد عبده في شرح نهج البلاغة ، فكان

(٥٩) شرح القصيدة لأبي فراس الحمداني ص ٥ تأليف أحمد زيادة فخري .

رد الامام ( ع ) رداً مهذباً ومنطقيا :

« اللهم : انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا إلتماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك » (٦٠) .

إن هذه الأهداف النبيلة والمترعة بروافد الانسانية والعدالة لتحسسك أيها المتتبع ما سمو نفس الامام علي ( ع ) ، انه يدرك وبعمق ما أهمية وجوده بالنسبة الى هذه الامة ، انه لابد من امام ذو شخصية انسانية يقيم العدل والاصلاح ، ويرفع للاسلام كلمة عدالته العليا ، ويضع الامور حيثما أمر الله ورسوله ان توضع .

وفي وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( ع ) عندما حضرته الوفاة الى ولده الامام الحسن ( ع ) ، قال له « يابني أمرني رسول الله ان أوصي اليك ، وان ادفع اليك كتبي وسلاحي، كما اوصى الي رسول الله ( ص ) ، ودفع الى كتبه وسلاحه ، وأمرني ان آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها الى اخيك الحسين»، ثم اقبل على الحسين فقال « وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا وأشار الى زين العابدين — ثم أخذ بيد علي بن الحسين

(٦٠) نهج البلاغة ٢ / ١٨ شرح محمد عبده .

وقال « وامرك رسول الله ن تدفعها الى ابنك محمد ، فاقرءه من رسول الله ومني السلام » (٦١) .

من الملاحظ في وصية الامام علي ( ع ) أن الامام لايوصى إلا الى إمام ، فقد خص الله عز وجل ابراهيم الخليل عليه السلام بالامامة وخص ذريته من بعده :

قال الله عز وجل « اني جاعلك للناس اماماً » فقال ابراهيم الخليل (ع) « ومن ذريتي » ، فقال الله سبحانه وتعالى « لاينال عهدي الظالمين » ، مما تقدم من الآية الكريمة نستدل استدلال قطعي بسقوط إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة ، ثم انتقلت امامتهفي ذريته « ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (٦٢) .

فلم تزل الامامة في ذريته فكانت في كل من سليمان وداود وأيوب ويوسف ويعقوب وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، وإن المتتبع وذو العقل السليم ، ينظر في نسب عيسى (ع) ، يجده من ذرية ابراهيم ( ع ) من دون أب ، وهذا يعني أن عيسى ( ع )

(٦١) كشف الغمة ١٥١ ، أصول الكافي .

(٦٢) سورة الانبياء : ٧٢ ــ ٧٣ .

ورث ذريته من ابراهيم عن طريق مه مريم العذراء والتي كانت من ذرية ابراهيم ، علماً ، كان بينها وبين ابراهيم عدة اجيال من الذرية ، فأنظر ما نطقت به صحائف التاريخ من تجني على أهل بيت النبوة والرسالة قدسهم الله ، وانظر قيمة مابذل البلاط الاموي والبلاط العباسي من أموال طائلة في سبيل إبعاد الحسن والحسين من نسب رسول الله ، وما بين الحسن والحسين إلا فاطمة عليها السلام ، ولكن الحقيقة لاتهضم وان هضمت استأثرت بنفسها .

وهذا شاعر الزندقة والإلحاد بشار بن برد ، دخل يوماً يلقي رباعيته في مجلس المهدي ابن الخليفة العباسي المنصور فأكرمه من بيت مال المسلمين سبعين ألف درهم تشجيعاً له على زندقته فيقول :

يا ابن الذي ورث النبي محمداً ... دون الاقارب من ذوي الارحام
الوحي بين بني البنات وبينكم ... قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الانعام (٦٣)
أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الاعمام (٦٤)

---

(٦٣) ليس في سورة الانعام ما يشير الى هذا المعنى ، بل ليس فيها اي حكم من احكام الميراث .

(٦٤) حياة الامام موسى بن جعفر دراسة وتحليل — للاستاذ باقر شريف القرشي ص ٤٤٥ .

انظر جيداً كيف تزيف الحقائق . ان عيسى ( ع ) من ذرية ابراهيم ( ع ) عن طريق امه مريم العذراء ، اما ابناء فاطمة الزهراء عليها السلام ، فلا يكونون ابناء محمد ( ص ) ، وليس بين فاطمة والنبي ( ص ) أي فارق زمني يذكر ، وعندما سمع الامام موسى ابن جعفر عليه السلام بأبيات الزنديق بشار بن برد نام ليلته قلقاً، وفي نومه كأن هاتف يتلو عليه أبيات تعارض ابيات بشار بن برد :

أنى يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الاسلام
تبني البنات نصيبهم من جدهم ... والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما ... سجد الطليق مخافة الصمصام
وبقى ابن شلة واقفاً متلدداً ... فيه ويمنعه ذوو الارحام
ان ابن فاطمة المنوه باسمه ... حار التراث سوى بني الاعمام(٦٥)

هذا عبد الله بن المعتز العباسي ، ممن يزيّفون التأريخ . ويفكرون على ابناء فاطمة الزهراء عليها السلام وراثتهم لجدهم وفي كونهم ذرية رسول الله ، فقد كرمهم الله في قوله عز وجل :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

---

(٦٥) احتجاج الطبرسي ص ٢١٤ ــ حياة الامام موسى بن جعفر ــ دراسة وتحليل ــ لباقر شريف القرشي .

تطهيرا » (٦٦) وهذا المنصور بن حي النميري في رائيته والتي ينكر فيها على آل بيت الرسول ( ص ) تراثهم :

فان شكروا فقد أحسنت فيهم وإلا فالندامـــة للكفور
وما لبني بنـــاتٍ من تراث مـع الاعمـام في رق الزبور

ويقول ابن المعتز العباسي في بائيته :

ونحن ورثنـا ثيـاب النبي فـكم تجذبون بأهدابهـــا
لـكم رحم يا بني بنتـــه ولـكن بنو العم أولى بهـا
قتلنـا أميـة في دارهـا ونحن أحـق بأسلابهـا

فقـد تصدى لهم شعراء آل البيت الافذاذ ليقطعوا عليهم افكارهم الصفراء وما جاءوا به من بدع محاولة في تسميم الجيل والفكر الاسلامي محاولين بذلك إبعاد آل البيت الأطهار من نسب رسول الله ( ص ) ، وفي القصيدة البائية في ديوان صفي الدين الحلي والتي يرد بها ابو فراس الحمداني علي ابن المعتز العباسي مفنداً فيها خياله السقيم في محاولة للانقاص من مكرمات أهل البيت ولكن أني له ان يمس السماء ؛ فقد جاء في ديوان صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلي قد سأل النقيب تاج الدين ـ الاوي أبا فراس إجابة عبد الله بن المعتز تؤزه الشياطين أزاً عن

---

(٦٦) سورة الاحزاب : ٣٣ .

قصيدته البائية عليه اللعنة الأبدية التي يتناقص فيها من مكارم أهل البيت الكرام عليهم السلام ومن الله السلام ، فقال ابو فراس إرتجالاً :

ألا قل لشر عبيد الإله ... وطاغي قريش وكذابها
وباغي العباد وباغي العناد ... وهاجي الكرام ومغتابها
وأنت تفاخر آل النبي ... وتجحدها فضل أحسابها
بكم باهَلَ المصطفى أم بهم ... نرد العداة بأوصابها
اعنكم نفي الرجس أم عنهم ... لطهر النفوس وألبابها
اما الشرب واللهو من دأبكم ... وفرط العبادة من دابها
وقلت ورثنا ثياب النبي ... فكم تجذبون بأهدابها
وعندك لا يورث الانبياء ... فكيف حظيتم بأثوابها
فكذبت نفسك في الحالتين ... ولم تعلم الشهد من صابها
أجدك يرضى بما قلته ... وما كان يوماً بمرتابها
وكان بصفين من حزبهم ... لحرب الطغاة وأحزابها
وقد شمر الموت عن ساقه ... وكشرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعوا الى « حيدر » ... بإرغابها وبارها بها
وآثر ان ترتضيه الأنام ... من الحكمين لأسبابها
ليعطي الخلافة أهلاً لها ... فلم يرتضوه لإيجابها

وصلى مع الناس طول الحياة ... و « حيدر » في صدر محرابها
نهـــلا تقمصهـا جـدكم ... اذا كان اذ ذاك أحرى بهـــا
واذ جعل الأمر شورى لهـم ... فهل كان من بعض أربابهـــا
أخامسهم كـــان أم سادساً ... وقد جليت بـين خطتّابهـــا
وقولك : أنتم بنو بنتـــه ... ولكن بنو العمّ اولى بهـا
بنو البنت أيضاً بنو عمّـه ... وذلـك أدنى لأنسابهـــا
فدع في الخلافة فصل الخلاف ... فلست ذلولاً لركابهـــا
وما انت والفحص عن شأنهـا ... وما قمّصوك بأثوابهـــا
وما شاوروك سوى ساعـة ... فما كنت أهلاً لألقابهـــا
وكيف يخصوك يوماً بهـا ... ولـم تتأدب لآدابهـــا
وقلت بأنـــكم القاتلون ... أسود اميـة في غابهـــا
كذبت وأسرفت فيمـا ادعيت ... ولم تنه نفسك عن عابهـــا
فـكم حاولتها سراة لـكم ... فردت على نكص اعقابهـــا
ولولا سـيوف أبي مسـلم ... لعزت على جهـد طلابهـــا
وذلـك عبد لهم لا لـكم ... رعى فيـكم قرب انسابهـا
وكنتم اسارى ببطن الحبوس ... وقد شفكم لثم اعتابهـــا
فأخرجـكم وحباكـم بهـا ... وقمصكم فضل جلبابهـــا
فجازيتموه بشـــر الجزاء ... لطغوى النفوس واعجابهـــا

فدع ذكر قوم رضو بالكفاف وجاؤا الخلافة من بابها
هم الزاهدون هم العابدون هم الساجدون بمحرابها
هم الصائمون هم القائمون هم العالمون بآدابها
هم قطب ملة دين الإله ودور الرحاء بأقطابها
عليك بلهوك بالغانيات وخل المعالي لأصحابها
ووصف العذار وذات الخمار ونعت العقار بألقابها
وشعرك في مدح ترك الصلاة وسعر السقاة بأكوابها
فذلك شأنك لا شأنهم وجري الجياد بأحسابها (٦٧)

ثم لم تزل الامامة في ذرية ابراهيم حتى ورثها النبي محمد ( ص ) .

قال الله عز وجل « إن أولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (٦٨) ، ثم لم تزل في ذريته حتى جاءت في ذرية محمد ( ص ) وفي علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) ، وفي ولده عليهم أفضل الصلاة والسلام .

قال عز من قائل « وقال الذين أوتوا العلم والأيمان لقد

---

(٦٧) شرح القصيدة لأبي فراس الحمداني ص ٥ ـ لأحمد زيادة فخري .

(٦٨) سورة آل عمران : ٦٨ .

لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » [٦٩] ، وهذه الآية الكريمة هي في ولد علي عليه السلام اذ لا نبي بعد محمد ( ص ) .

وقال عز من قائل « أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون » [٧٠] .

وقال عز من قائل في أئمة أهل البيت وذرية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا » [٧١] .

دخل يزيد بن اسباط على الامام جعفر بن محمد ( الصادق ) عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه فألتفت له الامام الصادق عليه السلام قائلاً :

« يا يزيد أترى هذا ــ واشار لولده موسى بن جعفر (ع) ــ اذا رأيت الناس قد اختلفوا ، فيه ، فأشهد عليّ بأني اخبرتك أن يوسف إنما كان ذنبه عند إخوته حتى طرحوه في الجب ، الحسد

---

(٦٩) سورة الروم : ٥٦ .

(٧٠) سورة يونس : ٣٥ .

(٧١) سورة النساء : ٥٤ .

له حين اخبرهم أنه رأى احد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، وكذلك لابد لهذا الغلام من أن يحسد » ثم استدعى بأولاده عبد الله واسحاق ومحمد والعباس وموسى فقال لهم :

« هذا ـ وأشار لولده موسى ـ وصي الاوصياء ، وعالم العلماء ، وشهيد على الاموات والاحياء » (٧٢) .

وهذا دليل تأريخي على أن الامامة ليست وراثة بشرية تعطى كيفياً ، فلا يخلف الامام إلا الأمام وبنص منه ، فمع كثرة اولاد الأمام الصادق ( ع ) ظهرت الامامة في موسى بن جعفر ( ع ) لما أعطي من عقل حصيف وعلم غزير ، ومن نزعة انسانية ومثل عليا وكان تقياً سمح الرأي وذو أصالة في التفكير وفقيها في احكام الأمة ، كما واعطي من العلوم ما اعطي ابوه الصادق وجده محمد الباقر عليهما السلام ، هو سليل البيت الهاشمي الكريم ، هو من دوحة الامامة ، ومن بيت النبوة والرسالة المقدستين ، كما وأعطي من مناقب العلوم ما لم يعط احد في زمانه ، وهذا دليل ينقله كل المؤرخين يشير الى علم الامام موسى بن جعفر عليه السلام والمستمد من علم جده رسول الله محمد ( ص ) .

---

(٧٢) البحار ج ١١ ص ٢٣٦ ، تأليف العلامة محمد باقر المجلسي .

في زمن الخليفة العباسي موسى الهادي ، وكان هذا فاسقاً مستهتراً بحقوق وحرمات المسلمين ، ومن نقم بشدة على العلويين ولا سيما الامام موسى بن جعفر عليه السلام ، فقد توعده الخليفة بأن يقتله ، فقد اتهم هذا الفاسق ، الامام موسى ( ع ) بعمادة العلويين وسيدهم والمؤلب الاول على الثورات في زمانه ، بعدما أخمد الخليفة الفاسق الهادي ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب والتي حدثت في عهده ، وذلك للظلم الذي صبه العباسيون على العلويين ، فقد إنتهى تهديد الهادي إلى الامام موسى عليه السلام ، فخف بيت بني هاشم الى الامام يدعوه إلى التخفي عن الهادي مخافة بطشه ، فتبسم الامام عليه السلام . لأنه يعلم هلاك هذا الطاغية ، وأخذ يردد عليه السلام ابيات من شعر كعب بن مالك (٧٣) .

وببئر بـدر اذ يرد وجوههم  جبريل تحت لوائنا ومحمد (٧٤)

---

(٧٣) كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي شاعر رسول الله ( ص ) واحد السبعين الذين بايعوه بالعقبة ، وشهد المشاهد كلها سوى واقعة بدر الكبرى .

(٧٤) حياة الامام موسى بن جعفر ـ دراسة وتحليل ـ للاستاذ باقر شريف القرشي .

وبأبياته الآخر في مدح بني هاشم :

يا هاشماً ان الإلـــه حباكم ما ليس يبلغـه اللسان المفصل
قوم لأصلهم السيادة كلهـا قـدماً وفرعهـم النبي المرسل
بيض الوجوه ترى بطون اكفهم تنـدى اذا غبر الزمان المحل

ثم أستقبل الامام موسى بن جعفر ( ع ) القبلة وأخذ يدعو بدعاء الجوشن الصغير والذي يذكره السيد ابن طاووس في مهج الدعوات ( ص ٢٢٠ ) والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان نقلاً عن الكفعمي في هامش البلد الامين ، ويذكره ابن شهر آشوب في المناقب وينقله الاستاذ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الامام موسى بن جعفر ( ع ) ــ دراسة وتحليل ــ والذي يبدأ بهذه الصورة :

« إلهي : كم من عدو انتضى علي سيف عداوته ، وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي شبا حده ، ودافَ لي قواتل سمومه ، وسدد نحوي صوائب سهامه ، ولم تنم عني عين حراسته ، وأضمر أن يسومني المكروه ، ويجزعني دعاف مرارته » ... الى أن يقول عليه السلام في آخره « مولاي بك استغثت فصلِ على محمد وآل محمد وأغثني ، وبك استجرت واغنني بطاعتك عن طاعة عبادك وبمسألتك عن مسألة خلقك وانقلني من ذل الفقر إلى عز

الغنى ومن ذل المعاصي الى عز الطاعة فقد فضلتني على كثير من خلقك جوداً وكرماً لا بأستحقاق مني .

إلهي فلك الحمد على ذلك كله صلِ على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين » .

وبعد انتهاء الامام عليه السلام من دعائه هذا جعل يهدىء من روعهم ويفزعهم قائلاً : « ليفرج روعكم فإنه لا يأتي اول كتاب من العراق إلا بموت موسى الهادي » .

فطلبوا من الامام ان يكشف لهم سر هذا الامر قائلين :

« وما ذاك اصلحك الله ؟ »

« وخدمة صاحب هذا القبر — وأشار الى قبر النبي (ص) — قد مات موسى الهادي من يومه هذا ، والله انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ... » (٧٥)

فانتظر القوم وهم على أحر من الجمر بقدوم الاخبار ، واذا يريد العراق يحمل لهم البشرى بموت هـذا الطاغية الفاسق . فأنبرى له شعراء أهل البيت يسجدون في ابياتهم دعوى الامام (ع)

---

(٧٥) حياة الامام موسى بن جعفر — دراسة وتحليل للاستاذ باقر شريف القرشي .

ويظهرون مناقبه وعلمه :

وسارية لم تسر في الارض تبتغي ... محلاً ولم يقطع بها البعد قاطع (٧٦)
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ ... محلاً ولم يقصر لها البعد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب ... بجثمانه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها ... اذا قرع الابواب منهن قارع
اذا وردت لم يرد الله وفدها ... على أهلها والله راء وسامع
واني لأرجو الله حتى كأنما ... أرى بجميل الظن ماهو صانع (٧٧)

ويقول شاعر آخر في مكانة الامام موسى بن جعفر ( ع ) والتي حباها الله بالرعاية الربانية ، فكرّمها وطهرها وجعلها حجة على الناس :

هيا بنا نهب الزوراء نسألها ... عن فلتين هما موتى وأحياء
فقد مشت وبني العباس سامرة ... في ألف ليلة حيث العيش سراء
دار الرقيق وقصر الخلد طافحة ... بما يلذ فأنعام وصهباء

---

(٧٦) وسارية : أي رب سارية اخذت من السري وهو السير بالليل ، والمراد رب دعوة لم تجر في الارض بل صعدت الى السماء فلم يقطعها قاطع لبعد المسافة ، فصعدت الى الله فأستجاب الدعاء وانتقم من الظالمين .

(٧٧) المناقب ج ٢ ص ٣٧٨ .

تجبك إن ديار الظلم خاوية  وان للمتقين الخلد ما شاء
ومل الى الكرخ وانظر قبة سمقت  تجاذبتها الثريا فهي شماء
وحي فيها اماماً من أنامله  سحابة الفضل والانعام وكثاء

يظهر لنا مما تقدم بأن للامام دعاء مستجاب ، وهذا يستدعي التوجه ، ويستوجب العصمة ومنزلة اللطف ، ولا يتوفر هذا إلا في الامام المفترض الطاعة ، وهذا يتأتى في كون الامام ذو منزلة ربانية « شهد الله الا إله إلا هو والملائكة وأولي العلم قائماً بالقسط » .

كما أن للامام قلب انساني خافق ، يتحسس كل نبضة في عضد الأمة ، ويعمل بكل ما أوتي من علم ومنطق وعقل حصيف بغية تصحيح الاخطاء ، والثبات في السير على طريق العدالة ، وإقرار الحقوق البشرية لكافة الرعية :

من كان حارس ديناً إنه قمن  أن لا ينام وكل الناس نوام
وكيف ترقد عينا من تضيقه  همان من أمره نقض وابرام (٧٨)

أن الشروط المنطقية والتي يجب ان تتوفر في الامام هي المثل العليا والقيم الاخلاقية الفوقية ليتسنى له قيادة الرعية إلى شاطيء العدل وإقرار المساوات ، وقد ذكر هذه الشروط والاوصاف

---

(٧٨) مآثر الافافة في معالم الخلافة ١ / ٥٩ .

الواجب توفرها في الامام كل من الماوردي في الاحكام السلطانية ( ص ٤ ) ، وابن خلدون في المقدمة ( ص ١٣٥ ) وذكر كل من الجويني والايجي والجرجاني والفارابى اوصافاً أخرى في كتاب « نظام الحكم والادارة في الاسلام » ــ للاستاذ باقر شريف القرشي .

كما أن الشروط التي يجب توفرها في الامام الواجب الطاعة :

١ ــ العدالةعلى شروطها الجامعة ، وهي الامتناع من إرتكاب كبائر الذنوب وعدم الأصرار على صغائرها .

٢ ــ العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام (٧٩) .

٣ ــ سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها .

٤ ــ سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة ، وسرعة النهوض .

٥ ــ الرأي المفضي إلى سياسة الرعية ، وتبرير المصالح ،

٦ ــ الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية بيضة الاسلام :

---

(٧٩) والمقصود بالاجتهاد هنا هو الاجتهاد في النص ، وليس الأجتهاد مقابل النص ، لأن هذا يستدعي الاستنباط في الحكم . ومن ثم يقودنا الى استعمال القياس في الاحكام وهذا باطل اصلاً .

وجهاد العدو .

٧ ــ النسب وهو أن يكون الامام من قريش .

ان ما جاء في مضمون الفقرة الاخيرة في كون الامام من قريش : وتقريره أن النبي صلى الله عليه وآله قال « الأئمة من قريش اثنى عشر » ، فقد ذكر ( ص ) ذلك حاصراً به كون الأئمة عليهم السلام من قريش فلا يجوز أن يكون في غير قريش وان كان عربياً ومتى عقدت الامامة لغير قريش فلا تنعقد لصريح الحديث ، فقد صار الموصوف وهو كون محل الامامة من قريش في درجة الاعتبار نازلاً منزلة التعليل بالعلة المنصوص عليها المتحدة ضمناً وكون الانسان قرشيا صفة شرف يتقدم صاحبها على غيره وقد اومأ رسول الله (ص) الى ذلك بقوله : « قدّموا قريشاً ولا تقدّموها » .

وقد جاء في تحقيق العالم المحقق نصير الدين الطوسي رحمه الله ، تحقيق مسهب في العيون عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام في علامات الامام الواجب الطاعة .

« ان يكون أعلم الناس وأحكم الناس واتقى الناس واحلم الناس وأشجع الناس واسخى الناس وأعبد الناس ويولد مختوناً ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون

له ظل وإذا وقع إلى الارض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ولا يحتلم وتنام عينه ولا ينام قلبه ويكون محدثاً وتستوي عليه درع رسول الله ( ص ) ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم واشفق الناس عليهم من آبائهم وامهاتهم ويكون أشد الناس تواضعاً لله تعالى ويكون آخذ الناس بما يأمر به وأكف عما ينهى عنه ويكون دعاؤه مستجاباً ويكون عنده سلاح رسول الله ( ص ) وسيفه ذو الفقار يكون عنده الجفر الاكبر والاصغر (٨٠) وجاء في بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا انهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي (ص) ، وفي الحديث عن ابي جعفر الامام محمد الباقر ( ع ) :

ان الامام فيه خصلة اذا دخل عليه أحد من الناس لا يملىء عينه منه اجلالاً وهيبة لأن رسول الله ( ص ) كان كذلك ، وعن الامام الصادق عليه السلام

ان الامام يسمع في بطن أمه فاذا ولد خط بين كتفيه وفي رواية بين عينيه وفي أخرى على عضده الايمن « وتمت كلمة ربك

---

(٨٠) شرح القصيدة لأبي فراس الحمداني ص ١٤ لأحمد زيادة فخري .

صدقاً وعدلاً » .

وفي الحديث في العيون ، أن الامام عليه السلام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله تعالى عمود من نور يرى فيه اعمال العباد وكلما احتاج اليه ويبسط له فيعلم ويقبض عنه فلا يعلم والامام عليه السلام يصح ويمرض ويأكل ويشرب وينكح والا ينسى ولا يسهو ويفرح ويحزن ويبكي ويحيى ويموت ويقبر ويزار ويحشر ويوقف ويسأل ويثاب ويكرم ويشفع وكلما اخبر به من الحوادث التي تحدث قبل كونها فذلك بعهد معهود اليه من رسول الله (ص) توارثه عن آبائه عليهم السلام .

وجاء في مروج الذهب ، نعت الامام عليه السلام أن يكون معصوماً من الذنوب لأنه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج ان يقام عليه الحدّ .

كما يقيمه على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ، وإن يكون اعلى الخليقة لأنه ان لم يكن عالماً يؤمن عليه ، أن يقلب شرايع الله واحكامه فيقطع من يجب عليه الحدّ ويحدّ من يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التي وضعها الله تعالى ، وأن يكون أشجع الخلق لأنهم يرجعون اليه في الحرب فأن جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله وان يكون أسخى الخلق

لأنه خازن المسلمين وأمينهم وان لم يكن سخياً تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت إلى ما في ايديهم وفي ذلك الوعيد لنا .

يمكن ان نقول بأن الامام شخصية بشرية تكون له الرئاسة العامة في الدين والدنيا ، ولا يكون هذا بأختيار الناس .

« فالامامة منصب إلهي وهي رياسة عامة في الدين والدنيا لشخص من الاشخاص نيابة عن النبي ( ص ) [٨١] .

قال عز من قائل « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله تعالى عما يشركون » [٨٢] ، وقال عز من قائل « وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [٨٣]

---

(٨١) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية للشيخ محمد علي قسام : ص ١١٤ .

(٨٢) سورة القصص : ٦٨

(٨٣) قوله تعالى على رجل من القريتين عظيم ، المراد بالقريتين مكة المشرفة والطائف ، وبالرجلين عروة بن مسعود من ( الطائف ) ، والوليد بن المغيرة من ( مكة ) ، فأما عروة فهو أحد السادات الأربع الذين قال فيهم رسول الله ( ص ) ، وهم اربعة سادة في الاسلام بشر بن هلال العبدي وعدي بن حاتم وسراقة بن مالك المدلجي وعروة بن مسعود الثقفي كما عن ابن عباس : وكان عروة

أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

من هذا نستدل أن قول الله عز وجل ما كان لهم الخيرة ، يدل هذا على أن اختيار الامام ليس منوطا برأي الناس بل هو منصب الهي ، فلكل نبي وصي ووارث علم ، كما أن الامامة هي منصب للطف ، وكل لطف واجب على الله تعالى :

« فالامامة واجبة على الله تعالى ونعني باللطف هو ما يقرب العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية وهذا المعنى حاصل في الامامة، اذ ان الناس اذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه وينصف للمظلوم من ظالمه ويحملهم على القواعد العقلية والوظائف الدينية ،ويردعهم عن المفاسد الموجبة لاختلاف النظام في أمور معاشهم وعن القبائح الموجبة لاختلاف النظام في أمور معاشهم وعن القبائح الموجبة للوبال في معادهم بحيث كل يخاف مؤاخذاته على ذلك كانوا الى الاصلاح أقرب وعن الفساد أبعد ولا نعني باللطف

---

مبجلاً في قومه معظما في نفوسهم وسيداً من ساداتهم . وكانت قريش تحترمه وتعده من ذوي الرأي والحزم في الأمور وقد ارسلته يوم الحديبية لعقد الصلح بينهم وبين النبي ( ص ) .

إلا ذلك فتكون الامامةلطف بهذا المعنىوهذا هو المطلوب » (٨٤).

وكما ان الله عز وجل دل على وجوب النبوة فقد دل على وجوب الامامة أيضاً ، فالامامة خلافة عن النبوة كما تكون قائمة مقامها إلا في تلقي الوحي الآلهي وفي المنزلة والأثرة ، كما أن الامام يحل عملياً محل النبي في كونه ممثلاً للسلطة التنفيذية من بعد النبي ، ويتمكن من تولية وعزل القضاة والولاة ، وهذا يختلف عن عمل الامام في زمن الغيبة الكبرى وبما أن الله يختار ما يشاء للنبوة وينص على ذلك ، كذلك يختار ما يشاء للامامة ويأمر نبيه أن ينص على الامام من بعده للقيام بالاعمال التي كان يقوم بها النبي ( ص ) ، سوى ان الامام لا يوحى إليه بل يتلقى الأحكام من النبي ( ص ) ويحكم في الرعية بما رسم اليه النبي من وصايا ، وبما تضمن كتاب الله من مجموعة الاوامر والدساتير بأعتبار الله عز وجل السلطة التشريعية العليا ، وبأعتبار النبي ( ص ) الممثل الأعلى للحكومة الاسلامية ممثلاً للسلطة القضائية والتنفيذية وباعتبار الامام المنفذ لشرايع الله في كتابه وسنة نبيه من بعد النبي (ص) ، وإلا لاكتفى النبي (ص) ان يضع كتاباً يتضمن فيه سنته ومجموعة أوامره بدون الاحتياج الى منفذ تتمثل فيه

(٨٤) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١١٥ .

العدالة أولاً والعلم بالقانون الاسلامي ثانياً ، كما أن من شروط الامامة ، أن تتوفر في الامام العصمة ، فلو لم يكن معصوماً اذن لجازت عليه المعصية ، واذا جازت عليه المعصية ، ففي هذه الحالة تنتفي فائدة نصبه أولاً وثم يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثانياً ، كما أن اللازم بقسميه باطل فكذا الملزوم بيان اللزوم، فاذا وقعت المعصية من الامام فهل يجب الانكار عليه أم لا يجب ، فاذا وجب فقد سقط محله من القلوب ، وأن يكون مأموراً بعد أن كان اميراً ، وأن يكون منهياً بعد ان كان ناهيا ، وفي هذه الحالة تنتفي الفائدة المطلوبة من نصبه كإمام ، أما عن الثاني يلزم عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو باطل إجماعاً ، كذلك ان العصمة لا تحدد برأي بشر أو اجتهاده ، او ان تكون صفة مادية ظاهرة يمكن رؤيتها كملازمة اللون الاحمر للوردة الحمراء :

« لأن العصمة من الامور الخفية التي الا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى فلا يحصل لنا العلم بها من دون بيان في أي شخص هي وليست العصمة من الامور الظاهرة في بداء الخلقة كي ترى نظير السواد والبياض وما أشبه ذلك من الصفات الظاهرة بل هي أمر كمين خفي لا تعرف إلا باعلام من علام الغيوب وذلك لا يحصل

إلا بأمرين أحدهما النص والتصريح على عصمته من معصوم كالنبي ( ص ) ، والثاني ظهور المعجزة على يده الدالة على صدقه في ادعائه الامامة » (٨٥) .

روى الشيخ الصدوق في « العيون » بأسناده عن الحسن ابن محمد النوفلي ، أن الامام الرضا عليه السلام قال لسليمان المروزي :

« رويت عن ابي عن ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، انه قال : إن لله عز وجل علمين علما مخزوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء ، وعلما علمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه » (٨٦) .

نستنتج مما تقدم أن علم الامام مستمد من علم نبيه ، وهذا أمامنا علي ( ع ) في رسالة له الى سهل بن حنيف يظهر مكانته وعلمه من رسول الله ( ص ) ، بعد ما شاع بالاوساط الاجتماعية بأن علي بن أبي طالب عليه السلام ، حمل على اعداء الله من اليهود ، فقد رموه بالنبل والحجارة ، فحمل عليهم حتى دنى من باب خيبر

---

(٨٥) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١١٦ .

(٨٦) عيون اخبار الرضا باب ١٣ في ذكر مجلس الرضا مع سليمان المروزي ، والبحار : باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٢ .

حصنهم العتيد ، فنزل مغضباً إلى اصل عتبة الباب فأقتلعه ثم رمى به خلف ظهره أربعين ذراعا بعد أن استعمله كترس يستتر به من ضربات السيوف والمجن ، يقول الامام (ع) في رسالته :

« والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة وانا من احمد كالضوء من الضوء » (٨٧)

ألم يقل علي عليه السلام انا من احمد كالضوء من الضوء ، إن هذه من المعجزات على قيام إمامته وتفرده بقوتين خارقتين ، فكرية وجسدية ، وقد استأذن حسان بن ثابت ذلك اليوم رسول الله محمد ( ص ) ليقول في علي ( ع ) شعراً فأذن له النبي (ص) فقال ابياتا منها (٨٨) :

وكان علي أرمد العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بريقه فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارما كميا محبا للرسول موالیا (٨٩)

---

(٨٧) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٦٧ .

(٨٨) نقل هذه الابيات الشيخ المفيد قدس سره في كتابه « الارشاد » ص ٣٧ .

(٨٩) الكمي الشجاع المتكمي في سلاحه أي المستتر به والجمع كماة

يحب الهي والالـه يحبـه  به يفتح الله الحصون الاوابيا (٩٠)
فاصغى بها دون البرية كلهـا  عليا وسماه الوزير المؤاخيا (٩١)

وقال بعض الانصار شعراً في رمي باب خيبر :

ان امرءاً حمـل الرتاج بخيبر  يوم اليهود بقدرةٍ لمؤيـد
حمل الرتاج رتاج باب قموصه  والمسلمون واهل خيبر حشد (٩٢)
فرمى به ولقـد تكلف رده  سبعون شخصا كلهم متشدد
ردوه بعـد تكلف ومشقة  ومقـال بعضهم لبعض أزدد

ويقول ابن أبي الحديد في العينية وهي من العلويات السبعة :

يا قالـع الباب الذي عن هزه  عجزت اكف اربعون واربـع

وقال الأزري :

ودحى بابهـا بقوة بأس  لوعيتها الأفلاك منه دحاهـا

ألم تكن هذه المعاجز من دلائل ثبوت امامته عليه السلام ، إن امامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب هي خلافة ربانية بعلم من الله ورسوله ( ص ) ، كما أن امامته وعصمته ولطفه هي فوق

---

(٩٠) جمع آبي وهو المتمنع .

(٩١) أصفى : اي آثره وخصه بها .

(٩٢) الرتاج بسكر الراء : الباب العظيم ، والقموص جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق .

قدرات البشر وفوق قدرات الرعية ، ولابد للرعية من إمام يقود قدراتهم الفكرية والعملية في الطريق الأسمى لبناء المجتمع الأمثل، والذي احب الله ان يخرجه من ظلماته المدلهمة بنور الاسلام وكتاب الله عز وجل .

ان الله تعالى امر نبيه ان يستخلف في امته وصيا ووارث علم يتحمل من بعده رسالته السامية « ان الامامة خلافة عن الله تعالى ورسوله ( ص ) فلا يكون الامام اماماً إلا بقولهما وليس لأحد من الناس ان يختار وليس لمخلوق من مخلوقاته التصرف فيها ولا معرفة له بها وليس للنبي ( ص ) الاختيار بدون امر الله تبارك وتعالى وتخصيصه ونصه » (٩٣) .

روي في كشف الغمة عن كتاب كفاية الطالب عن الدار قطني عن رجاله ، عن ابي هارون العبدي « قال : اتيت ابا سعيد الخدري فقلت له : هل شهدت بدراً ؟ قال : نعم ، فقلت : ألا تحدثني بشيء سمعته من رسول الله ( ص ) في علي وفضله ؟ فقال : بلى اخبرك ان رسول الله مرض مرضة نقه منها ، فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله ( ص ) ، فلما رأت ما برسول الله من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها

(٩٣) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١١٦ .

على خدها ، فقال لها رسول الله (ص ) : ما يبكيك يا فاطمة ؟ قالت : أخشى الضيعة يارسول الله ، فقال : يا فاطمة اما علمت ان الله اطلع إلى الارض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيا ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلك فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصيا أما علمت انك بكرامة الله إياك زوجك أعلمهم علما واكثرهم حلما واقدمهم سلما ؟ فضحكت واستبشرت ، فأراد رسول الله ( ص ) ان يزيدها مزيد الخير كله الذي قسّمه الله لمحمد وآل محمد ، فقال لها : يا فاطمة ولعلي ثمانية أضراس — يعني مناقب — إيمان بالله ورسوله وحكمته وزوجته وسبطاه الحسن والحسين وأمره بالمعروف والنهي عن المنكر ، يا فاطمة إنا أهل البيت اعطينا ست خصال لم يعطها احد من الأولين ولا يدركها احد من الآخرين غيرنا ، نبينا خير الانبياء وهو أبوك ، ووصينا خير الاوصياء وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم أبيك ، ومنا سبطا هذه الامة وهما إبناك ، ومنا مهدي الامة الذي يصلي عيسى خلفه ، ثم ضرب على منكب الحسين فقال : « من هذا مهدي ( هذه ) الامة » (٩٤) .

---

(٩٤) البحار ج ٣٨ ص ١٠ ، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي .

يظهر من هذا بجلاء أن إمام هذه الامة الواجب الطاعة هو امامنا علي بن ابي طالب عليه السلام ، وان امامته أيدها الله ورسوله بحبهما ، وان الله اختاره وصيا لنبيه محمد ( ص ) ، وهذا يمنع عامة الناس من ان يختاروا امامهم بأنفسهم .

روى العلامة الطبرسي في الاحتجاج والفاضل العلامة المجلسي في الامامة عن سعد بن عبد الله القمي « قال سألت المهدي عجل الله فرجه وهو في حجر ابيه قلت يا موالاي اخبرني عن العلة والسبب الذي يمنع الناس من اختيار امام لأنفسهم ، قال مصلح او مفسد قلت مصلح ، قال هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد ان لايعلمهم احد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ، قلت بل يجوز قال فهي العلة اوردتها لك ببرهان يثق به عقلك ، أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى وانزل الكتب عليهم وأيدهم بالوحي والعصمة اذ هم اعلام الامم واهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى ( ع ) وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما اذا هما بالاختيار ان تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان انه مؤمن قلت لا قال هذا موسى بن عمران كليم الله سبحانه مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في ايمانهم

واخلاصهم فوقعت خيرته على الافسد دون الأصلح ،قال عز وجل ( واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ) إلى قوله « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » ، فلما وجدنا اختيار من اصطفاه الله تعالى ذكره لنبوته واقعا على الافسد دون الأصلح علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور وتكن الضمائر » (٩٥) .

ان إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام لم تكن بالاختيار البشري ذو العقل اللاراجح ، انما كان مركزاً ربانيا ، لأن الامام يجب ان يكون أعلم ابناء زمانه واكملهم اخلاقا ، حتى يتسنى له أن يكمل اخلاق الناس ويهذب انفسهم بالعلم والعمل الصالح،ولأن فاقد الشيء لايهبه « وهو الذي بعث في الاميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، فاذا كان الامام ناقصا ، فقد سقط عنه الكمال النفسي ، وكما أننا لانطلب من الظلام نوراً ، ولأن الفاقد لا يكون معطيا « إن الامامة لاتصلح لمن عبد وثنا وصنماً او اشرك بالله تعالى طرفة عين ولو اسلم بعد ذلك ، ولا تصلح لمن ارتكب ذنبا صغيراً او كبيراً ولو تاب بعد

---

(٩٥) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١١٧ .

ذلك » (٩٦) .

قال الله تعالى مخاطبا ابراهيم الخليل ( ع ) « إني جاعلك للناس اماما » قال ابراهيم ( ع ) « ومن ذريتي » قال الله تعالى « لا ينال عهدي الظالمين » ، هذا يعني أن للظلم معنى وهو وضع الشيء في غير موضعه ، وأعظم الظلم هو الشرك بالله .

وقال عز من قائل :

« ان الشرك لظلم عظيم » ، فقد سقطت امامة كل ظالم الى يوم القيامة في قول الله عز وجل الى داود عليه السلام « قل للظالمين لا يذكروني فان حق عليّ أن اذكر من يذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم » .

ان الكمال في عصمة امامنا علي ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، الدليل الساطع على مكانته الربانية وامامته ، ولم يكن شخص امامنا عليه السلام شخص أعرابي الصحراء ، ذو العباءة والبعير ، بل كان شخصية سماوية منّ بها الله علينا في وصية نبيه ورسوله الكريم محمد ( ص ) .

روي ابن يحيى البلاذري وعلي بن الحسين الاصفهاني ، أن قريشا اصابتها ازمة قحط ، فقال رسول الله ( ص ) الى عميه

---

(٩٦) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٢٦ .

حمزة والعباس إلا نحمل ثقل ابي طالب ، فجاؤوا اليه وطلبوا منه أن يدفع اليهم ولده ، فقال لهم دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم، وكان شديد الحب لعقيل ، فأخذ العباس طالبا وأخذ حمزة جعفراً واخذ محمد ( ص ) عليا وقال لهم :

« قد اخترت ما اختاره الله لي عليكم عليا ، قالوا فكان (ع) من محمد رسول الله ( ص ) منذ كان عمره ست سنين وكان يسدي اليه صلوات الله عليه من احسانه وشفقته وبره وحسن تربيته كالمكافأة والمعارضة لصنيع أبي طالب به حيث مات عبدالمطلب وجعله في حجره وهذا يطابق قوله عليه السلام ، لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة » (٩٧) .

بل تعدت شخصية الامام ارض الجزيرة ولمعت في طول الدولة الاسلامية وعرضها ، انها شخصية عالمية اخذها الكتاب والفلاسفة يغورون في اعماقها باحثين مستقصين لسير التاريخ جائلين في آفاقها الرحبة ، كما وجاءت امامته في الكتب السماوية الاخرى ، فأضاءت بها تلك السطور ، وحملتها الكتب كما حملتها القلوب .

جاء في مناقب ابن شهر آشوب ، فقد روى الكلبي عن

---

(٩٧) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٧ في ذكر فضائله .

الشرقي بن القطامي ، عن تميم بن وعلة المرّي ، الجارود بن المنذر العبدي وكان نصرانيا فاسلم عام الحديبية وانشد شعراً يقول :

يا نبي الهدى انتك رجالاً  قطعت فدفداً وآلاً فآلا
جابت البيد والمهامه حتى  غالها من طوى السرى ما غالا
انبأ الأولون باسمك فينا  وباسماء بعد تتالي (٩٨)

فقال رسول الله ( ص ) : أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الايادي ؟ فقال الجارود : كلنا يارسول الله نعرفه غير أني من بينهم عارف بخبره واقف على اثره ، فقال : اخبرنا فقال : يارسول الله لقد شهدت قساً وقد خرج من ناد من انديه إياد الى ضحضح ذي قتاد ، وسمرو غياد وهو مشتمل بنجاد ، فوقف في اضحيان ليل كالشمس رافعا الى السماء وجهه وإصبعه فدنوت منه فسمعته يقول « اللهم رب السماوات الارفعة والارضين الممرعة ، بحق محمد والثلاثة المحاميد معه والعليين الاربعة وفاطم والحسنان الابرعة (٩٩) وجعفر وموسى التبعة سمي الكليم الضرعة (١٠٠)

(٩٨) تتالت الامور أو الخيل : تلا بعضها بعضا يقال : جاءت الخيل تتاليا أي متتالية .

(٩٩) في المصدر والحسنين الابرعة .

(١٠٠) ضرع في الشيء : دنا منه ، وضرع من فلان ، تقرب منه .

ولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة دراسة الاناجيل ومحاة الأضاليل ونفاة الأباطيل الصادقوا القيل عدد نقباء بني اسرائيل ، فهم اول البداية وعليهم تقوم الساعة وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله فرض الطاعة إسقنا غيثا مغيثا » ثم قال : ابتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي [1] ثم انشأ يقول شعراً :

---

(١) الفدفد : الارض المستوية والآل جمع الآلة وهي الحالة التي توالت عليها أهوال مختلفة ، والآل ايضاً خشبات تبنى عليها الخيمة ، والآل أيضاً السراب ( كما ذكر في النهاية والبداية ج ١ ص ٥١ ) ، والجوب : القطع ، والبيد بالكسر جمع البيداء وهي المفازة ، والمهامه جمع المهمه وهو المفازة البعيدة وغاله الشيء : أخذه من حيث لم يدر ، ويقال : غالته غول اذا وقع في مهلكة ، والطوى : الجوع ، والسرى بالضم : السير بالليل ، والضحضح الماء اليسير ، والقتاد كسحاب : شجر صلب له شوك كالأبر ، والسمر بضم الميم : شجر معروف . وقال الفيروز آبادي : الاغيدة النبات ، الناعم المتثني والمكان الكثير النبات ، والنجاد ككتاب : حمائل السيف وجمع النجد وهو ما ينجد به البيت من بسط وفرش ووسائل ، وليلة اضحيانه بالكسر : مضيئة .

وفي قوله : « والحسنان الابرعة » جاءت كذا في النسخ

أقسم قسماً ليس به مكتتما  لو عاش الفي سنة لم يلق منها سأما

والاظهر « الحسنين » على المجرور ، اي على صيغة الجمع مجروراً كما في المصدر المطبوع يشمل الحسنين والعسكري عليهم السلام، ليشمل العسكري ، ويؤيده تأنيث الابرعة بأعتبار الجماعة اي كل منهم ابرع الخلق واعلاهم في الكمال ، وعلى ما في النسخ لعل التثنية بأعتبار اللفظ والتوصيف لرعاية المعنى بحيث يعد الحسن والحسين عليهما السلام واحداً والعسكري عليه السلام أيضاً واحداً ، هذا بحسب اللفظ ، واما التوصيف بصيغة التأنيث فلرعاية المعنى : لكن يرد عليه أنه يلزم على ذلك ان يؤتى بصيغة التثنية مجروراً كما يقتضيه المقام لا مرفوعاً كما في المتن ، والتبعة لعله مبالغة في التابع ، وكذلك الضرعة . وطريق مهيع — كمقعد — بين قوله : دراسة الاناجيل ، أي يدوسونها ، كناية عن محوها ونسخها ، واللأي — كالسعي — الابطاء والاحتباس والشدة ، والرجم بالتحريك القبر ، قوله « جديلاً » أي مخاصما مجادلاً ، وقال الجوهري ، الصيد بالتحريك : مصدر الأصيد ، وهو الذي يرفع رأسه ، ومنه قيل للملك اصيد [1] .

(١) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٤٥ ، الصحاح ج ١ ص ٤٩٦ وفيه يرفع رأسه كبراً .

حتى يلاقي احمداً والنجباء الحكما

هم أوصياء احمد افضل من تحت السماء

يعمى الانام عنهم وهم ضياء للعمى

لست بناس ذكرهم حتى احل الرجما

قال الجارود : فقلت : يا رسول الله أنبئني ، انبأك الله بخبر هذه الاسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قس ذكرها ، فقال رسول الله : يا جارود ليلة أسري بي الى السماء اوحى الله عز وجل إلي ان سل من قد ارسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا ؟ قلت : على ما بعثوا ؟ قال : بعثتهم على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما ، ثم عرّفني الله تعالى بهم وبأسمائهم ، ثم ذكر رسول الله ( ص ) للجارود أسمائهم واحداً واحداً الى المهدي عليه السلام ثم قال :

اتيتك يا ابن آمنة الرسولا ... لكي بك اهتدي النهج السبيلا

فقلت وكان قولك قول حق ... وصدق ما بدا لك ان تقولا

وبصرت العمى من عبد شمس ... وكلاً كان من عمه ظليلا

وانبأناك عن قسٍّ الايادي ... مقالا انت ظلت به جديلا

واسماء عمت عنا فآلت ... الى علم وكنت بها جهولا

وجاء في مناقب ابن شهر آشوب ، وفي امالي أبي الفضل

الشيباني واعلام النبوة عن الماوردي والفتوح عن الاعصم في خبر طويل « ان أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل بليخ من جانب الفرات نزل اليه شمعون بن يوحنا وقرأ عليه كتابا من املاء المسيح عليه السلام وذكر بعثة النبي وصفته ثم قال : فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت لذلك ما شاء الله ، ثم اختلفت على عهد ثالثهم فقتل قتلا ثم يصير أمرهم الى وصي نبيهم فيبغون عليه ، وتسل السيوف من اغمادها ، وذكر من سيرته وزهده ثم قال : فإن طاعته لله طاعة ، ثم قال : ولقد عرفتك ونزلت إليك فسجد أمير المؤمنين عليه السلام وسمع منه يقول :

شكراً للمنعم شكراً ـ عشراً . . ثم قال : الحمد لله الذي لم يخلني ذكرا ولم يجعلني عنده منسيا ، فأصيب الراهب ليلة الهرير » (٢) .

وجاء في أمالي الشيخ المفيد .

« عن علي بن بلال عن العباس بن الفضل ، عن علي بن سعيد الرازي ، عن محمد بن ابان ، عن محمدبن تمام بن سابق ، عن عامر بن سار ، عن أبي الصباح عن ابي همام عن كعب الخير قال : جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله ( ص ) قبل أن يسلم فقال: يارسول الله ما اسم علي فيكم ؟ فقال له النبي ( ص ) : عندنا

(٢) بحار الانوار ج ٣٨ ص ٤٩ للمجلسي .

الصديق الاكبر ، فقال عبد الله : أشهد انه لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله إنا لنجد في التوراة : محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة » (٣) .

وجاء في كتـــاب الروضة للفضائـل عن سليم قال : اقبلنـا في صفين مـع علي بن أبي طالـب عليه السلام فنزل العسكر قريباً من دير نصراني ، فخرج علينا من الايد شيخ جميل الوجه حسن الهيئة والسمت (٤) .

ومعه كتاب في يده ، قال : فجعل يتصفح الناس حتى أتى عليا عليه السلام فسلم عليه بالخلافة ثم قال : إني رجل من نسل رجل من حواري عيسى ابن مريم وكان من أفضل حواريه الاثني عشر واحبهم اليه وابرهم عنده ، واليه أوصى عيسى بن مريم واعطاه كتبه وعلمه وحكمته ، فلم يزل اهل بيته متمسكين بملته ، ولم تبدل ولم تزد ولم تنقص (٥) .

---

(٣) بحار الانوار ج ٣٨ ص ٥١ للمجلسي .

(٤) السمت : هيئة أهل الخير .

(٥) في الفضائل : فلم يزل أهل بيته على دينه متمسكين بحتله فـلم يكفروا ، ولم يرتدوا ولم يغيروا تلك الكتب فملته ولم تبدل ، ولم تزد ولم تنقص .

وتلك الكتب عندي املاء عيسى وخط الانبياء [٦] فيه كل شيء تفعله الناس ملك ملك وكم يملك [٧] وكم يكون في زمان كل ملك منهم ، ثم إن الله تعالى يبعث من العرب رجلاً من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل من أرض تهامة من قرية يقال لها « مكة » نبي يقال له « أحمد » له اثنا عشر وصيا ، ذكر مولده ومبعثه ومهاجرته ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاونه ومن يعاديه وكم يعيش ، وما تلقى أمته من بعده من الفرقة والاختلاف ، وفيه تسمية كل امام هدى وكل امام ضلال الى أن ينزل المسيح من السماء ، وفي ذلك الكتاب أربعة عشر اسما من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الله عليه السلام وأحبهم اليه ، الله ولي من والاهم وعدو من عاداهم ، فمن أطاعهم فقد اطاع الله ومن اطاع الله فقد اهتدى واعتصم ، طاعتهم لله رضى ومعصيتهم لله معصية ، مكتوبين بأسمائهم ونسبهم ونعوتهم وكم يعيش كل واحد منهم بعد واحد وكم رجل يستسرّ بدينه ويكتمه من قومه ومن يظهر منهم ومن يملك وينقاد له الناس حتى ينزل عيسى على آخرهم فيصلي عيسى خلفه في الصف ، أولهم افضلهم ، وآخرهم له مثل اجورهم واجور

---

(٦) في الفضائل : وخط أبينا بيده .

(٧) في الفضائل : كم ملك وكم يملك منهم .

من اعطاهم واهتدى بهداهم .

أولهم احمد رسول الله واسمه محمد بن عبد الله ويس وطه ونون والفاتح والخاتم والحاشر والعاقب والسابح والعابد ، وهو نبي الله وخيل الله وحبيب الله وصفوته وخيرته ، ويراه الله بعينه ويكلمه بلسانه ، فيتلى بذكره اذا ذكر ، وهو أكرم خلق الله على الله واحبهم الى الله ، لم يخلق الله ملكا مقرباً ولا نبيا مرسلاً من عصر آدم اليه احب الى الله منه ، يقعده الله يوم القيامة بين يدي عرشه ، وليشفعه في كل من يشفع فيه ، بأسمه جرى القلم في اللوح المحفوظ في أم الكتاب وبذكره ، محمد صاحب اللواء يوم القيامة يوم الحشر الاكبر ، وأخوه ووصيه وخليفته في امته واحب خلق الله اليه بعده علي بن ابي طالب ابن عمه لأبيه وامه وولي كل مؤمن ومؤمنة بعده ، ثم أحد عشر رجلاً من بعده من ولد محمد من ابنته فاطمة عليهما السلام أول ولدهم مثل ابني موسى وهارون شبر وشبير وتسعة من ولدهم أصفهم واحداً بعد واحد : آخرهم الذي يؤم بعيسى بن مريم ، وفيه تسمية أنصارهم ومن يظهر منهم ثم يملأ الارض قسطا وعدلاً ، ويملكون ما بين المشرق إلى المغرب حتى يظهرهم الله على الايمان كلها ، فلما بعث هذا

النبي ( ص ) أتاه ابي وآمن به وصدّقه وكان شيخا كبيراً ، فلما ادركته الوفاة قال لي : ان خليفة محمد في هذا الكتاب بعينه ، سيمر بك فأخرج اليه وبايعه وقاتل معه ، فان الجهاد معه مثل الجهاد مع رسول الله ( ص ) الموالي له كالموالي لله والمعادي له كالمعادي لله ، يا أمير المؤمنين مدّ يدك فأنا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وانك خليفته في أمته وشاهده على خلقه وحجته على عباده وخليفته في الأرض وان الاسلام دين الله واني ابرأ الى الله من كل من خالف دين الأسلام وانه دين الله الذي اصطفاه وارتضاه لأوليائه ، وأن دين الاسلام دين عيسى بن مريم ومن كان قبله من الانبياء والرسل الذين دان لهم من مضى من آبائه ، واني أتوالى وليك وابرء من عدوك واتوالى الأئمة الاحد عشر من ولدك وأبرء من عدوهم وممن خالفهم وممن ظلمهم وجحد حقهم من الأولين والآخرين .

وعند ذلك ناوله يده وبايعه ، فقال : ناولني كتابك ، فناوله اياه ، فقال لرجل من اصحابه : قم مع هذا الرجل فأنظر له ترجمان يفهم كلامه فينسخه بالعربية مفسراً فأتني به مكتوبا بالعربية ، فلما أن آتوا به قال عليه السلام لولده الحسين : إتيني بذلك الكتاب الذي دفعته اليك ، فأتى به ، قال : اقرأه وانظر انت يا فلان في

هذا الكتاب فإنه خطي بيدي ، أملاه رسول الله ( ص ) عليّ ، فقرأه فما خالف حرف حرفا ، ما فيه تأخير ولا تقديم كأنه املاه رجل واحد على رجل واحد ، فعند ذلك حمد الله عليّ عليه السلام وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذي جعل ذكري عنده وعند اوليائه وعند رسوله ولم يجعلني من اولياء الشيطان وحزبه ، قال : ففرح عند ذلك من حضر من شيعته من المؤمنين وساء من كان من المنافقين حتى ظهر في وجوههم وألوانهم (٨) .

ان ما جاء في امامته في الكتب السماوية لهو دليل على قيام حجته ، ليس في زمانه فقط ، بل في الزمن السابق واللاحق ، أن ما يجب ان يتمثل في الامام الواجب الطاعة ، علمه الغزير ، وكما أن يوشع وصي موسى كان اعلم زمانه لذلك ثبتت وصايته ، وكذلك شمعون وصي عيسى وآصف وصي سليمان ، كذلك امامنا علي بن أبي طالب ، فأن لعلومه الغزيرة في شتى الآفاق ، في المغيبات وعلوم القرآن والفقه والتشريع ، وفضله على اللغة العربية فهو واضع أصولها ، وهو الذي وضع علم النحو وهو الذي اسس قواعده واملى على أبي الأسود الدؤلي جوامع اصوله ومن جملتها

---

(٨) الروضة : ٢٤ ، ٢٥ ، الفضائل : ١٤٩ — ١٥٢ ، ينقلها العلامة محمد باقر المجلسي في ج ٣٨ بحار الانوار ص ٥١ .

الكلام كله من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ومن جملتها تقسيم الكلام الى معرفة ونكرة وتقسيم وجوه الاعراب الى الرفع والنصب والجر والجزم ، وهذا يكاد أن يلحق بالمعجزات الباهرة لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط « اسألوني قبل أن تفقدوني ، فأنا اعرف بطرق السماء اكثر مما اعرف بطرق الارض ، والله لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لكلمت أهل الزبور بزبورهم ، واهل الانجيل بأنجيلهم واهل الفرقان بفرقانهم حتى يقولوا بأن عليا قد حكم بيننا بالحق » ، وهذا السيد الشريف الرضي أعلى الله مقامه في كلمات له في فصاحة الامام علي عليه السلام ، ذكرها السيد الجليل في مقدمة كتاب نهج البلاغة ، ويعود للسيد الجليل الشريف الرضي الفضل الكبير في جمع علوم الامام عليه السلام ووصفها وترتيبها في الكتاب الموسوم ( بنهج البلاكة ) .

قال السيد الجليل الشريف الرضي :

« كان أمير المؤمنين سلام الله عليه مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى امثلته حذى كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ

بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا » [٩] .

وقال ابن نباتة [١٠] وهو الخطيب الشهير حفظت من الخطب كنزاً لا يزيده الانفاق إلا سعةً وكثرة ، وذاك اني حفظت من مواعظ علي عليه السلام وخطبه مائة فصل وفي كلامه عليه السلام قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق وكفى بنهج البلاغة دليلاً ، وله الخطبة المحذوفة الألف ، والخطبة المهملة التي يقول فيها عليه السلام :

« الحمد لله الملك المحمود والمالك الودود ومصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطع المهاد وموطد الأطواد ومرسل الامطار وعالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها ومكرر الدهور ومكورها ومورد الأمور ومصدرها ، تسم سماحه وكمل وكامه ، همل وطاوع السؤال والأمل وأوسع الرمل وارمل ، احمده حمداً

---

(٩) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٨٦ .

(١٠) يحيى بن عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل الفارقي ويكنى بأبي يحيى ويلقب بالخطيب المصري ذكره القاضي نور الله المرعشي مؤلف كتاب مجالس المؤمنين في خطباء الشيعة وابن ابي الحديد في شرحه لخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يذكر فيها فوائد الجهاد والحث عليه ويقال انه قد اجتمع بسيف الدولة في حلب وكان يومئذ يعرف بخطيبها توفي سنة ٣٧٤ هـ .

ممدوداً مداه وأحمده كما حمده الاواه وهو الله الا إله للامم سواه ولا صارع لما عدله وسواه ، ارسل محمداً علما للاسلام واماما للحكام مسدد للرعاع ومعطل احكام ود وسواع علم وعلم وحكم أصل الاصول ومهد واكد الوعود واوعد ، اوصل الله له الأكرام واودع روحه السلام ورحم آله وأهله الكرام ما لمع وئال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا ، وحكم الله أصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال وأطرحوا الحرام ودعوه ، واسمعوا امر الله وعوه ، وصلوا الأرحام وراعوها ، وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع » .

ألم يكن هذا دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، الم يكن علي عليه السلام من النبي ( ص ) كالضوء من الضوء ، ان علوم الامام ( ع ) سبقت زمنها ، فكانت كالدرر في الظلمة الظلماء .

وفي خطبته الخالية من الألف ، يوحد الله عز وجل توحيد عالم ، وفي كلامه العميق ، سيل دافق من ينبوع الانسانية الكاملة وعلامة من علائم العصمة والامامة :

قال ابن ابي الحديد ، تذاكر قوم من اصحاب رسول الله (ص) أي حروف الهجاء ادخل في الكلام ، فأجمعوا على الألف فقال بذلك امير المؤمنين عليه افضل التحية :

« حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت غضبه رحمته وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت قضيته ، حمدته حمداً مقرٍ بربوبيته ومتخضع لعبوديته متنصل من خطيئته مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيله وبنيه ونستعينه ونسترشده ونستهديه، وشهدت له شهود مخلص موقن ، ووحدته توحيد عبد مذعن . وشهدت ببعث محمد ( ص ) ورسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيبه وحبيبه في خير عصر وحين فترة وكفرٍ ، رحمة لعبيده ومنة لمزيده، ختم به نبوته وشيد به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكرح عليه رحمة وتسليم من رب غفور رحيم » ، ثم قال عليه السلام في تصويره الموصوف بالبلاغة العميقة للانسان في عيشه وكدحه ثم تصوير ايامه الذاوية السائرة الى الانتهاء المقدر بتقدير عليم بالامور ، وفي كلماته المضيئة ، تصوير حي لما تحمله الايام لهذا الانسان في مستقبله المجهول ، ابتعاد عن الدنيا ، ظلمة لا يدرك كنهها العقل البشري ، سفر الذات الى اللاوعي واللاشعور ، يصمت فيها كل حي بلا طواعية ، ويودع ما ألف عليه من هذه الدنيا ويسجى في دار وحشته وغربته :

« وليغتنم كل مغتنم صحته قبل سقمه وشبيته قبل هرمه وسعته قبل فقره وفرغته قبل شغله وحضره قبل سفره ، قبل تكبر

وتهرم وتسقم ، يمله طبيبه ويعجز عنه حبيبه ، ثم قيل هو موعوك وجسمه منهوك ، ثم جد في نزع شديد وحضره كل قريب وبعيد ، فشخص بصره وطمع نظره ورشح جبينه وسكن حنينه ، وجذبت نفسه وبكته عرسه ، ويتم منه ولده ، وتفرق عنه عدده ، وقسم جمعه ، وذهب بصره وسمعه ، وجرد وعرى وغسل ونشف وسجي ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعم وودع وسلم وحمل فوق سرير وصلى عليه بتكبير بغير سجود وتعفير يذكر سلام الله عليه ما يجري على المحتضر من السنة الواجبة والمستحبة » (١١) .

يقول شاعرهم :

آلـــة العيش صحة وشباب  فاذا وليـــا عن المرء ولي

وإذا الشيخ قال : أفٍ فما مـلّ حياة وإنما الضعف مـلاّ

وقال عز من قائل « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك (١٢) .

يقول شاعرهم :

يامظهر الكبر اعجابا بصورته  انظر خـلاك فإن النتن تثريب

يابن التراب ومأكول التراب غداً  أقصر فانـك مأكول ومشروب

---

(١١) الاخلاق المرضية في الدروس المنبرية ص ١٨٨ .

(١٢) سورة الانفطار .

ألم يكن تصوير الامام عليه السلام لحتمية نهاية حياة الكائن البشري الحي ، دليل على نفوذية عقليته الرشيدة في الاشياء ، وتصوير حي لأنتهاء الاشياء في هذا الكون .

قال عز من قائل : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغةفخلقنا المضغةعظاماً فسكونالعظامالحما ثمانشأناه خلقنا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » (١٣) .

يقول شاعرهم :

تذكر جميلي مذ خلقتك نطفة

ولا تنسىتصويري لشكلكفي الحشا

فسلم اليَّ الامر واعلم بأنني انفذ احكامي وافعل ما اشا

وإذا بهذا البشر السوي ذو الفكر الواعي ، المشبع بالآمال الدنيوية الحالم بالابدية ، يشخص بصره ويطمع نظره ويرشح جبينه ويسكن حنينه ويخرج من الدنيا بلا شيء ، فتصور ما عمق تصوير الامام عليه السلام :

يقول شاعرهم :

وفيقبض كفالطفل عندولادة دليل علىالحرصالمركبفيالحي

---

(١٣) سورة المؤمن ــ ١١ .

وفي بسطها عند الممات اشارة ألا فاشهدوا اني خرجت بلاشيء

ان علوم الامام كانت فوق قدرات الناس ومفاهيمهم ، علوم موسومة بالديناميكية الزمنية ، فهي حية في كل زمان ، فمنذ ثلثمائة وخمسون وألف للهجرة ، هي تلك في عقول الناس وقلوبهم، فقد تبحر في مفاهيمها المتبحرون ، ودرسها الدارسون من الاعلام العرب والمستشرقين .

إن شخصية الامام عليه السلام هي النبراس والضوء المنير في عالم تملؤه الماديات والقوى الشريرة ، ان علوم الامام عليه السلام شملت كل شيء ، اذ لم تكن علوم علي ( ع ) نزعة بيئية أو تعلمية بتدريس استاذ ، او علوم منقولة من تراث قديم ، او مأخوذة من كتب سماوية أخرى ، بل كانت علوم لدنية تنبعث من امامته ذات المركز الآلهي ، علوم تصدر عن فكر قدير أدرك الاشياء بعمق وصاغها بكلمات مضيئة ، لا تزال تضيء لنا عقولنا، ان الامامة لا يأتي بها سائر الناس .

وهذا كلام له في الله عز وجل كونه كائن لا عن حدث ان رسالته في التوحيد اكبر من أن يدركها عقل بشري .

« كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات

والآلة ، بصير اذ لا منظور اليه من خلقه ، متوحد اذ لا يسكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده ، انشأ الخلق انشاءً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا روّية أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ، أحال الاشياء لأوقاتها ، ولأم بين مختلفاتها ، وغرّز غرائزها ، واندم اشباحها ، عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها ، عارفا بقرائنها واحنائها » (١٤) .

ان المفكر بروية يرى في كلمات الامام عليه السلام فكراً متوقداً ، وعدلاً ظاهراً ، وسيل دافق من الانسانية يخرج من القلب ، كان شديداً في ذات الله ورقيقا لحد أنه لايطأ نملة صغيرة تحمل عيشها ، يقول امامنا علي عليه السلام في كلام رائع له في صفة نفسه حافظا لأموال رعيته ، وذلك بعد أن املق اخوه عقيل بن أبي طالب ، ضارباً بها اسمى آيات العدل الانساني الأمثل وعندما استعطاه اخاه عقيل ، رد عليه الامام عليه السلام .

« والله لأن أبيت على حسك السعدان (١٥) مسهداً واجرّ

---

(١٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٩ .

(١٥) يريد من الحسك : الشوك والسودان : نبت شائك ترعاه الابل .

في الاغلال مصفداً احب اليّ من أن الق الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام ، والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة (١٦) ما فعلت ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها (١٧) ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين » (١٨) .

وفي وصيته الشريفة الى عسكره قبل لقاء العدو بصفين ، وما تضمنته وصيته من أرق شعور انساني يخطر على ضمير حاكم أو خليفة او والي ، وفي احرج موقف ، وهو موقف القتال المرتقب .

« لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وتركككم إياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً (١٩) ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن

(١٦) جلب : قشرة .

(١٧) تقضمها : تكسرها بأطراف اسنانها .

(١٨) روائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص ١٣٢ .

(١٩) المعور : الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها .

امراءكم ! » [٢٠] .

إن علي بن ابي طالب عليه السلام ما عاش في القصم ، بل عاش بين الناس ، ذلك الكوخ الذي كان يسكنه الامام عليه السلام في الكوفة ، كان عندما يقوم الى الصلاة يمس بكتفيه سقف ذلك الكوخ ، أراد الله ان يبدله بقبة من الذهب تناطح السماء علواً ، لا بل ان الذهب يرتمي على اعتابه ، ذلك الذي كان يرفع صوته معلنا « ياصفراء اليك عني غري غيري » [٢١] ، فاذا أردت ان تمعن النظر في حب علي للحياة فأنظر وتمعن في قول المؤرخين « اذا أردت ان تنظر الى حي بين الاموات فأنظر الى علي بن ابي طالب » فانه عليه السلام متوقد الحياة مدركها وممعن فيها وانساني فوق انسانية البشر ، فهو باب علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا ان جذوة تطلعاته الى زبرج الدنيا كانت كجذوة ميت ، كان علي عليه السلام مستحيل الى روح مذابة في نفس كبيرة موحدة لله عز وجل ، وكان ينظر الى الدنيا نظرة موحدٍ لها .

« يادنيا يادنيا ، اليك عني ! أبي تعرضت ؟ ام إليَّ تشوقت ؟

---

(٢٠) روائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص ١٢٧ .

(٢١) الصفراء : اي الذهب .

لا حان حينك [٢٢] هيهات ! هيهات ! غري غيري ، لا حاجة لي فيك ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ! آه من قلة الزاد ، وطول الطريق ، وبعد السفر ، وعظيم المورد ! » [٢٣].

ان علوم الامام عليه الامام عليه السلام لم تكن بغذاء يأكله أو رغد عيش يكتنفه ، انما [٢٤] كان ذلك بنفحات ربانية وبأيمان عميق لله عز وجل ، لقد كان فراشه الارض ، وكساءه الخشن من اللباس ، وأكله اليابس من الخبز ، وارتضى من الله ما قدر له ، ولقد حدث ان مرّ رسول الله (ص) فرأى علياً ( ع ) نائماً على دقعاء من التراب [٢٥] فأجلسه ونفض عنه التراب وقال له ( قم انما انت ابو تراب ) ، وكانت من أحب الكنيات اليه عليه السلام ، وشتمه ابناء أمية فيها اربعين عاما ، ولم يأنف عليه السلام ان يكون ابو الامة وحاميها وحاكم بكلمات الله ونوره وبسنن

(٢٢) تعرض به : تصدى له وطلبه ، لا حان حينك : لا جاء وقت وصولك الى قلبي ، وتمكن حبك منه .

(٢٣) المورد : موقف الورود على الله في الحساب .

(٢٤) روائع نهج البلاغة ـ جورج جرداق ـ ص ١٩٤ .

(٢٥) إنما الدقعاء : هي التراب القليل والمرتفع عن مستوى الارض ، وهو التراب اللين .

نبيه وابن عمه رسول الله محمد ( ص ) ، ولم يأنف أن يكون ابو تراب .

يقول عبد الباقي العمري في قصيدته العصماء :

يا أبا الاوصياء انت لطه صهره وابن عمه واخوه
ان لله في معانيك سراً اكثر العالمين ما عرفوه
انت ثاني الآباء في منتهى الدور وآباؤه تعد بنوه
خلق الله آدم من تراب فهو ابن له وأنت ابوه

ويقول عبد الرحمن بن جعيل في علي عليه السلام :

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة عل الدين معروف العفاف موفقا
عليا وصي المصطفى وابن عمه
واول من صلى أخا الدين والتقى [٢٦]

ويقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

ومنا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقارب [٢٧]

إن ما يجب ان يكون في الوصي والامام هو علمه الغزير وهذا هو الذي يستدعي الناس الى الأئتمام به وتقديمه في أمور

(٢٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ٧٣ .
(٢٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ٧٣ .

دينهم ودنياهم ، فهو حجة زمانهم ، وهذا علي عليه السلام في علمه وعلومه ، حجة أخرى عليهم ، ولقد خطى العلم الحديث اشواطا كبيرة في مجال الاختراعات وسبر أسرار الفضاء وارسال السفن الفضائية الى القمر وبعض الكواكب الاخرى ، إنما الذي يتبادر إلى الذهن ، هل وفق العلم الحديث خلال هذه الحقبة الزمنية المتباعدة بين القديم والحديث أن يقف على اسرار خلق السماوات والارض ، او كيفية تكوين الماء في الطبيعة ، أو كيفية إنزاله من السماء ، او ما وصلت اليه الاكتشافات والاستقصاءات حول حركة الكواكب ، أو حركة كرة السماء ككل ، انها مجرد فرضيات يفترضها العلم الحديث ، ولا حتى نظريات يؤخذ بها ، وهذا انشتاين يؤكد بأنه كلما اكتشف الانسان شيء مما يسميه بالعلوم وجد نفسه أمام مجاهيل اكثر من ذلك ، وهذا امامنا علي عليه السلام بالرغم من تباعد السنين الطوال وامتداد الاجيال ، يذكر لنا ومن ١٣٥٠ سنة تقريباً ، بفكر حصيف واستقصاء عالم لا بآلة ، ولا تلسكوب ، ولا اجهزة حسابية وعقول الكترونية حديثة ، ولا سيما بعد أن وصل الانسان الى استعمال علم التحكم الأوتوماتيكي ( السيبرنتيك ) في الفضاء الخارجي « وعلمنا الانسان ما لم يعلم » ، ومن هو صانع هذه العقول الالكترونية ،

إنه الانسان طبعا ، ومن هو الانسان ؟ هو وليد القوة العاقلة المدبرة ، الله تعالى عز مقامه .

يقول امامنا علي ( ع ) منذ ١٣٥٠ سنة ، في كلام له في كيفية خلق السماوات والارض وكيفية خلق الاجواء :

« ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء ، وشق الارجاء وسكائك الهواء ، فأجرى فيها ماءً متلاطما تياره ، متراكما زخاره ، حمله على متن الريح العاصفة ، والزعزع القاصفة ، فأمرها برده وسلطها على شدّه وقرنها الى حدّه ، الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثمّ انشأ سبحانه ريحا إعتقم مهبها ، وأدام مرّبها ، واعصف مجراها ، وابعد منشاها ، فأمرها بتصفيق الماء الزخار ، واثارة موج البحار ، فمخضته مخض السقاء وعْصفت به عصفها بالفضاء ، ترد أوله الى آخره ، وساجيه الى مائره ، حتى عبّ عبابه ورمى بالزبد ركامه ، فرفعه في هواء متفتق ، وجو منفهق ، فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا وعلياهنّ سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا ، بغير عمد يدعمها ، ولا دسار ينتظمها ، ثم زينّها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب ، واجرى فيها سراجا مستطيراً ، وقمراً منيراً ، في فلك دائر ، وسقف سائر ،

ورقيم مائر » [٢٨] .

انظر وتفكر ، كلمات مضيئة ذات مضامين عميقة ، اذن أين العلم الحديث من هذه الاشياء ، بل اين علوم الاولين والآخرين من هذا العلم اللدني الرباني ، ألم تكن هذه دلائل الامامة الحقة، واين سائر البشر منها ، وأين صفحات التأريخ البيضاء التي دنستها شرور وآثام الطلقاء ، الذين شوهوا وجه التأريخ الناصع ، كما سودت شرور العالم لون الحجر الأسود والذي أنزل من الجنة ناصع البياض .

إن البشرية لتنعى وترفع صوتها مدويا ، لقد دنس الفكر الانساني بتشويه الحقائق والارقام ، وهذا ابو فراس الحمداني منذ مئات السنين قد رفع عقيرته مع من رفع عقيرته في تعداد فضائل العلويين وتبيان مساوىء العباسيين ، يقول ابو فراس في لاميته العصماء :

الحق مهتضم والدين مخترم [٢٩] وفيء آل رسول الله مقتسم

---

(٢٨) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٤١ .

(٢٩) المخترم : الهالك .

والناس عندك لاناس فيحفظهم

(٣٠) سوم الرعاة (٣١) ولا شا ة (٣٢) ولا نعم (٣٣)

اني أبيت قليـل النوم ارقني قلب تصارع فيـه الهم والهمم

وعزمة (٣٤) لاينام الليل صاحبها إلا على ظفر في طيّـه كـرم

يصان (٣٥) مهري لأمر لا أبوح به

والدّرع والرّمح والصمصامة (٣٦) الخذم (٣٧)

---

(٣٠) السوم : اي رعت بنفسها .

(٣١) جمع الراعي : وهو كل من ولّى أمر قوم .

(٣٢) شاة : غنم .

(٣٣) نعم : المواشي من الابل والبقر والغنم .

(٣٤) العزمة والعزم : ما عقد عليه قلبك انك ذاعله .

(٣٥) مهري : ولد الفرس .

(٣٦) الصمصامة : السيف القاطع الصارم .

(٣٧) الخذم : ككتف القاطع .

وكل مائرة [٣٨] الضبعين مسرحها

رمث الجزيرة والخذراف [٣٩] والعنم [٤٠]

وفتية[٤١] قلبهم قلب إذا ركبوا يوما ورأيهم راى اذا عزموا

يا للرجال أما لله منتصر من الطغاة وما للدين منتقم

بنو عليٍّ رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم

مجلّيون فاصفى شربهم وشل [٤٢]

عند الورود واوفي وردهم لمم

فالارض الاّ على ملاكها سعة والمال الاّ على اربابه ديم

وما السّعيد بها إلا الذي ظلموا وما الشقي بها إلا الذي ظلموا

للمتقين من الدنيا عواقبها وان تعجل فيها الظالم الاثم

لايطفيّن بني العباس ملكهم بنو عليٍّ مواليهم وان رغموا

---

(٣٨) المائرة : صفة الموصوف محذوف اي وكل فرس و ناقة ، ناقة موارة سهلة السير سريعته .

(٣٩) الخذرافي : نبات ربيعي إذا احس بالصيف يبس .

(٤٠) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء شبه به البنان المخضوب .

(٤١) وفتية : جمع في الكثرة والقلة الواحد فتى .

(٤٢) الوشل : الماء القليل .

اتفخرون عليهم لا أبا لـكم حتى كانَّ رسول الله جدكـم

وما توازن يوما بينـكم شرف ولا تساوت لكم في موطن قدم

ولا لجدكـم معشار جدَّهم ولا ثيلتـكم من امهم امـم

قام النبي بها يوم الغدير لهم والله يشهد والاملاك والامـم

ثم ادعوها بنو العباس ملكهم ومالهم قَدَم فيها ولا قِـدَم

لا يذكرون اذا ما معشر (٤٣) ذكروا

ولا تحكم في امرٍ لهـم حـكم

ان عدَّ أهـل التقى كانوا ائمتهم

او قيل من خير اهل الارض قيل هم

بيوتهم في قريش يستضاء بهـا في النائبات وعند الحكم ان حكموا

تالله ما جهل الاقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا

أما علي فقـد ادنى قرابتـكم عند الولاية ان لـم تفكر النعم

---

(٤٣) معشر : كمقعد جماعة الناس معناه الجمع لا واحد له من لفظه وهو للرجال دون النساء .

هل ينكر الحبر عبد الله (٤٤) نعمته (٤٥)

ابوكم (٤٦) أم عبيد الله (٤٧) ام قثم (٤٨)

بئس الجزاءجزيتم في بني حسن ابوهم العلم الهادي وامهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا ذمم

---

(٤٤) وهو حتر الامة عبد الله بن عباس وهو عامل الامام علي ( ع ) على البصرة واليه الصدقات والجند والمعادن ، وقيل لم يزل عاملاً عليها لعلي ( ع ) حتى استشهد عليه السلام وكان مولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي في الطائف سنة ثمان وستين من الهجرة وممن دعا له النبي ( ص ) ، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلّمه البيان .

(٤٥) نعمته : الضمير لعلي بن أبي طالب .

(٤٦) ابوكم بدل من عبدالله بن عباس والضمير لبني العباس.

(٤٧) عبيد الله بن العباس اصغر من عبد الله اخيه بسنة وكان عامل علي بن ابي طالب (ع) على اليمن وجعل اليه امارة الحج ثلاث سنوات ومات سنة ثمان وخمسين .

(٤٨) وقثم ابن العباس : جعله علي بن ابي طالب ( ع ) في خلافته عاملاً على مكة المعظمة والطايف والمدينة ومات في نواحي سمرقند .

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائم إلا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة وكم دمٍ لرسول الله عندكم
أتتم آله فيما ترون وفي اظفاركم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قربت قربى ولا نسب يوما إذا فظت الأخلاق والشيم
كانت مودة سلمان له رحما ولم يكن بين نوحٍ وابنه رحم
يا جاهداً في مساويهم يكتمها نمدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم
هلا صفحتم عن الاسرى بلا سبب كالصافحين ببدر عن اسيركم
هلا كففتم عن الديباج السنكم وعن بنات رسول الله سبكم
ما نزهت لرسول الله مهجته عن السّياط فلا نزه الحرم
ذاق الزّبيري غب الحنث (٤٩) وانكشفت
عن ابن فاطمة الاقوال والتهم
ليس الرشيد كموسى بالقياس ولا
مأمونكم كالرضا ان أنصف الحكم
باؤا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا
ياعصبة شقيت من بعدما سعدت ومعشراً هلكوا من بعدما سلموا
لبئس ما لقيت منهم وان بليت بجانب الطف تلك الاعظم الرمم

---

(٤٩) الحنث بكسر الحاء المهملة الذنب وقيل الشرك وقيل اليمين الفاجرة .

لاعن ابي مسلم في نصحه صفحوا ولاالهبيري نجا الحلف والقسم
ولاالامان لأهل الموصل أعتمدوا فيه الوفاء ولا عن عهدهم حلموا
ابلغ لديك بني العباس مالكة لا تدعوا ملكها ملاكها العجم
اي المفاخر أضحت في منابركم وغيركم ام فيهـــا ومحتـكم
وهـــل يزيدكم في مفخر علم وبالخلاف عليكم يخفق العـلم
ياباعة الخمر كفوا عن مفاخركم لمعشر بيعهم يوم الهيـاج دم
خلو الفخار لعلامين إن سألوا يوم السؤال وعمالين ان علموا
لا يغضبون لغير الله ان غضبوا ولا يضيعون حق الله ان حكموا
تنشى التلاوة في ابياتهم أبداً وفي بيوتـكم الاوتار والنغم
منكم عليّة ام منهم وكان لكم شيخ المغنين ابراهيـم ام لهـم
أمن بشـاد الالحان سـائرة عليهم ذو المعالي ام عليـكم
إذا تلا سورةً غنّى امامـكم قف بالديار التي لم يعفها القدم
ما في ديارهـم للخمر معتصر ولا يرى لهـم قرد لـه حشم
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهـم ولا يرى لهـم قرد لـه حشم
الركن والبيت والاستار منزلهم وزمزم والصفا والخيف والحرم
صلى الاله عليهم كلما سجعت
ورق منهم للورى كهف ومعتصم (٥٠)

(٥٠) شرح القصيدة لابي فراس الحمداني ـ لأحمد زيادة

وهذا الشاعر دعبل الخزاعي اجرأ شاعر عرفه التأريخ بالوقوف في وجه المبطلين ، والفساق من بني العباس ، فقد بغوا وفعلوا فعل الغزاة :

لا أضحك الله سن الدهر ان ضحكت

وآل احمد مظلومون قد قهروا

مشردون نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وهذا الشاعر الكميت بن زيد الاسدي (٥١) ، كان ثائراً لا يبتغي من وراء ثورته منصباً ولا شهرة بل اقتصر لمكافئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأبرار ، ووقف بوجه الطغاة القتلة ، واشتهر بقوله الهاشميات السبعة ، وهي في مدح آل بيت رسول الله ( ص ) .

« لما قال الكميت الهاشميات السبعة قالها وسترها وقدم

---

فخري .

(٥١) الكميت بن زيد الاسدي : كان من شعراء مضر والسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارعين لشعرائهم عالما بلغات العرب ومثالبهم وايامهم ولد عام ستين من الهجرة ونشأ بالكوفة وكان شديد التشيع وكان في ايام بني امية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها .

البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس انا ابن اخيك وانت شيخ مضر وشاعرها قال من أنت فانتسب له ، فقال صدقت انت ابن اخي فما حاجتك ؟ قال نفث على لساني فقلت شعراً فأحببت أن اعرضه عليك فان كان حسنا أمرتني باذاعته وان كان قبيحا امرتني بستره وسترته علي فقال يابن أخي اني لأرجو ان يكون شعرك على قدر عقلك فأنشده :

طربت وماشوقا الى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

فقال يابن اخي فالعب فانك في اوان اللعب فقال :

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال وما يطربك يابن أخي ، فقال :

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن ام مر اعضب

ولا انا ممن يزجر الطير همسه أصاح غراب ام تعرض ثعلب

فقال اجل لا تتطير فقال :

ولكن الى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال من هؤلاء ويحك فقال :

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني أتقرب

فقال ارحني ويحك من هم فقال :

بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم أرضى مراراً واغضب

حفظت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب(٢)

إن امامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة ابنائه الطاهرين المعصومين ، فقد أضحى من السفه نقض حقهم في امامتهم والتغاضي عن مناقبهم وعلمهم ، فضائلهم ، وفي كلام للامام علي بن أبي طالب (ع) من خطبته المعروفة القاصعة (٥٣) .

« أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله ( ص ) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمسني وشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه » .

الى ان يقول فيها ( ع ) « ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به » .

(٥٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٤٢ طبعة سنة ١٩٤٨ .

(٥٣) من قصع فلان فلانا أي حقره لانه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين أو من قصع الماء عطشه اذا ازاله لأن سامعها لو كان متكبراً ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش .

إن ضوء الامامة في شخص علي ( ع ) هو من النبي ( ص ) كالشي وضله ، فهو تلميذه وخريجه ، منه أخذ وبه اقتدى وعلى مثاله احتذى ، أحاط بجميع علومه ، فهو اعلم الناس بكل علم بعد رسول الله ( ص ) فمن العلوم المشار اليها ، علم الكلام وهو من اشرف العلوم لأنه علم آلهي ، وشرف العلم بشرف موضوعه ومعلومه اشرف الموجودات ، ومن كلامه اقتبس وعنه نقل واليه انتهى وكل من له يد فيه فانّه ينتمي اليه ومن العلوم علم الفقه وكان سلام الله عليه أصله واساسه وكل فقيه في الاسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه وما من أحد من الصحابة كأبن عباس وامثاله إلا ورجوعهم فيه اليه وقال عمر بن الخطاب ، لولا علي لهلك عمر ، وقوله : لابقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ، وقوله لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر ، ومما روته العامة والخاصة ورواه بن حجر في صواعقه ، قول النبي ( ص ) :

« علي اقضاكم والقضاء لازمه الفقه فهو اذاً أفقههم » .

وكذلك ابناؤه البررة عترته وآل بيته الأطهار المكرمين :

يقول شاعرهم الكميت بن زيد الاسدي في علي بن أبي طالب ( ع ) :

سقيا لبيعة احمد ووصيه اعني الامام وليّنا المحسودا

اعني الذي نصر النبي محمداً قبل البرية ناشئا ووليـــــدا
اعني الذي كشف الكروب ولم يكن
في الحرب عنـد لقائهـــــا رعديدا
أعني الموحـد قبل كل موحد لا عابـداً وثنـا ولا جلمودا
وهو المقيم على فراش محمد حتى وقاه كايـداً ومكيـدا
وهو المقدم عند حومات الندى ما ليس ينكر طارفاً وتليـــدا

انهم والله أصل الشريعة ومنبعها وهم رمز العدالة والتحرر من ادران العبودية ، فبهم تقام المعطلة من حدود الله ، ان الظلم والجور وهتك حرمات الله ومقدساته اضحت التبرير في قيـام أساس الظلم والعدوان الى هذا اليوم ، ويقولها امير المؤمنين عليه السلام في احدى مناقبه الجليلة « اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك » (٥٥) .

ألم تكن هذه الكلمات هي النور المنبعث من قلب كبير وقف حياته من اجل رفع كلمة الاسلام عاليا ، والعمل بكتاب الله عزوجل وسنة رسوله الأكرم محمد ( ص ) .

---

(٥٥) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٨ . محمد عبده .

تصور ان هذا الامام ( ع ) والذي لم تأخذه في الله لومة لائم لا تجد للمهادنة ولا للمساومة أثر في شريعته ، كان شديد في حق الله ، وكان يدعوه رسول الله ( ص ) ( بالأخيشن ) « أدعوا لي الاخيشن في ذات الله » ، اي الشديد في ذات الله ، ويقول عليه السلام « أأقبل ان يقال لي امير المؤمنين وانا لا اشارك الناس مكاره الدهر » ، اثنين وثمانين غزوة ، قص ذلك الساعد ، حمل الراية فيها مدافعا عن حقوق الله وحرمة رسوله الكريم (ص)، ومثبتا فيها شريعة الله عز وجل بفكره وسيفه ، ان علي بن أبي طالب عليه السلام ، مكافح فكري في شتى الميادين ، ومكافح بالسيف ، فهو سليل ذاك سيد البطحاء وسادن بيت ابراهيم ، ابو طالب ، ذو الحسب الرفيع والمكانة المرموقة ، ولم يكل ساعد علي ابن أبي طالب عليه السلام عن ضرب اعناق الكفار ، ولا وهن ، ولا عجز عن اداء ما حمله رسول الله ( ص ) :

يقول امامنا علي عليه السلام : « من أي يومي من الموت افر امن يوم لم يقدر أم يوم قدر » ، ويعلنها صريحة مدوية ، لا يهمني من دنياكم هذه شيء ، فمن أي من ايامي اهرب من الموت ، في يوم قدّر الله فيه موتي ، ام يوم لم يقدر الله فيه ، موتي ، « اما والذي فلق الحبةوبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر،

وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، وسقيت آخرها بكأس أولها ، ولا لفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز » (٥٦) .

ويصف أحوال دنياهم تلك بكلمات بليغة ، ويخطها التأريخ على صفحاته بجلال وتكبير عظيمين ، ويدور التاريخ دورته :

« أما بعد ، فإني احذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور ، لم يكن امرؤ منها في حبرة (٥٧) إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق في سرّائها بطنا إلا منحته من ضرائها ظهراً (٥٨) وحري اذا أصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة ، وإن جانب منها إحلولى ، أمرّ جانب ذاوبى (٥٩) لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا (٦٠) إلا أرهقته من نوائبها تعبا !

---

(٥٦) نهج البلاغة ١ / ٤١ .

(٥٧) الحبرة : المسرة والنعمة .

(٥٨) كن بـ « البطن » عن الأقبال وبـ «الظهر عن الادبار» .

(٥٩) أوبى : صار كثير الوباء .

(٦٠) الغضارة : النعمة والسعة . الرغب ــ بفتح الباء ــ الرغبة .

ولا يسمي منها في جناح أمن إلا اصبح على قوادم خوف [٦١] .

كم من واثق بها قد فجعته ، وذي طمأنينة اليها قد صرعته ، وذي أبهةٍ [٦٢] قد جعلته حقيراً ، وذي نخوة قد ردته ذليلاً ، ملكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وموفورها منكوب ، وجارها محروب [٦٣] .

ألستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعماراً ، وابقى آثاراً ، وابعد آمالاً ، وأعدّ عديداً ، واكثف جنوداً ! تعبدوا للدنيا اي تعبّد ، وآثروها أي إيثار ، ثم ظعنوا عنها بغير زاد ! فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفساً بفدية ، أو اعانتهم بمعونة ، او احسنت لهم صحبة !

ان علياً عليه السلام كان نفس النبي فهو ظله الظليل ويراعه القداح وباب علم النبي ( ص ) ، يقول رسول الله ( ص ) «انا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأتي بابه » وكان علي عليه السلام يلهج بقلبه ولسانه في حب ابن عمه واخيه ونبيه (ص) « ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل

---

(٦١) القوادم : أربع ريشات في مقدم جناح الطائر .

(٦٢) الابهة : العظمة .

(٦٣) محروب : مسلوب المال .

يوم من اخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به » .

وفي رواية عن احمد بن محمد عن عبد الله الحجال عن احمد ابن عمر الحلبي عن أبي بصير :

قال دخلت على ابي عبد الله ( ع ) فقلت له جعلت فداك اني اسألك عن مسألة ، ههنا احد يسمع كلامي قال فرفع ابو عبد الله ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال يا ابا محمد سل عما بدالك قال : قلت جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون ان رسول الله ( ص ) علم عليا بابا يفتح منه ألف باب قال : فقال يا ابا محمد ، علم رسول الله ( ص ) علياً الف باب يفتح من كل باب الف باب قال : قلت هذا والله العالم قال — فنكت ساعة في الارض ثم قال انه لعلم وما هو بذاك قال ثم قال يا أبا محمد وان عندنا الجامعة قلت جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ( ص ) واملاء من فلق فيه وخط علي (ع) بيمينه ، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج اليه الناس حتى الأرش في الخدش ، فضرب بيده اليَّ فقال تأذن يا أبا محمد قال قلت جعلت فداك إنما انالك فاصنع ما شئت قال فغمزني بيده وقال حتى أرش هذا كأنه مغضب ، قال : قلت هذا والله العلم قال انه لعلم وليس بذلك ثم سكت ساعة ثم قال وإن عندنا الجفر

وما يدريهم ما الجفر قال : قلت وما انجفر قال وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين قضوا من بني اسرائيل قال : قلت ان هذا هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال وان عندنا لمصحف فاطمة قال : قلت وما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله (٦٤) ما فيه من قرآنكم حرف واحد قال قلت هذا والله قال انه لعلم وما هو بذلك ثم سكت ساعة ثم قال ان عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن الى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك فأي شيء العلم قال ما يحدث بالليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة (٦٥)» (٦٦)

(٦٤) قوله ( ع ) ما فيه من قرآنكم المراد منه ان ليس فيه من القرآن من حيث أنه قرآن وانما هي من كلمات املاها جبرئيل لفاطمة سلام الله عليها فلا ينافي كون ما في الكتابين متحداً من حيث المعنى .

(٦٥) وذلك لأنهم عليهم السلام لم يكونوا ليستغنوا عن الله تعالى بل هم محتاجون مع ذلك دائماً إلى إمداد جديد من مبدأ الفيض كما قال ( ع ) لو لم نزدد لنفد ما عندنا وهذه ليست زيادة عن نقصان وانما هو بقاء كمال على ما هو عليه فهم كاملون

إن الامة كانت تغط في ظلمة ظلماء وجهالة جهلاء ، فمن حين تسلم امامنا علي عليه السلام زمام الخلافة الى أن قتله اللعين ابن ملجم في محراب مسجد الكوفة ما ذاق باله طعم الراحة والسكينة والا جفنه النوم مستقراً ، ملؤا عليه الأجواء بالفتن والحروب ، الى أن اسكتوا نبضه الشريف ، ولكن انى لهم ان ينتزعوا حبه من القلوب والنفوس ، وحب ذريته من بعده ، والذين ذاقوا الامرّين من التعذيب والتشريد والتقتيل ، اهكذا حملنا وصية نبينا محمد ( ص ) .

« يا أيها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي ، اهل بيتي » (٦٧) أبمثل هذه الحالة حفظنا وصيته وصنّا ذريته واخذنا بسنته ، فسنن الله معطلة ، وذريته مقتولون مشردون في مشارق الارض ومغاربها .

---

في كل حين وآن كمالاً لا يتناهى اي لا يمكن في الامكان كمال فوق ذلك ولكنه باحداث جديد منه تعالى في كل آن .

(٦٦) الالهام في علم الامام لحجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الحائري السنقري ص ٤١ .

(٦٧) اخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله التقي الهندي في الكنز ج ١ ص ٤٤ .

يقول شاعرهم الكميت بن زيد الاسدي :

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي ، محارم من آل النبي استحلت
ورباب خدر من ذؤابات هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت

ويقول الكميت في قصيدة أخرى :

ويل بن آكلة الأكباد كم جلبت يداه للدين كسراً ليس مجبورا
لم يكفه قتله ابناء فاطمة حتى سبى الفاطميات المعاطيرا

ويقول دعبل الخزاعي شاعر آل البيت في فلذة كبد رسول الله ( ص ) ، الامام الحسين بن علي عليهما السلام شهيد العبرات، فقد روى عليه السلام بدمه الطاهر أرض كربلاء :

ان كنت محزونا ، فمالك ترقد هلا بكيت لمن بكاه محمد ؟
هلا بكيت على الحسين وأهله ان البكاء على الحسين ليحمد
فلقد بكته في السماء ملائك زهر ، كرام ، راكعون وسجد
لم يحفظوا حق النبي محمد اذ جرعوه حرارة ما تبرد
وتضعضع الاسلام يوم مصابه فالدين يبكي فقده والسؤدد
أنسيت اذ صارت اليه كتائب فيها ابن سعد والطغاة الجحد
فسقوه من جرع الحتوف بمشهد كثر العدو به ، وقل المسعد
ثم استباحوا الطاهرات حواسراً فالشمل من بعد الحسين مبدد
كيف القرار ؟ وفي السبايا زينب تدعو بفرط حرارة : يا أحمد !

هـذا حسين بالسيوف مقطع متخضب بدمائه ، مستشهـد
عار بلا كفن صريع في الثرى تحت الحوافر والسنابك يخضد
والطيبون بنوك قتلى حولـه فوق التراب ، ذبائح لا تلحد
ياجد!من ثكلي ،وطول مصيبتي ولمـا أعانيـه اقوم واقعـد
ياجد ! قدمنعوا الفرات وقتلوا عطشا ، فكان من الدماء المورد
ياجد ! ان الكلب يشرب آمنا ريا ، ونحن عن الفرات نطرد (٦٨)

وروى الورد بن الكميت قال دخلت على سيدي ابي جعفر محمد بن علي « الباقر » عليه السلام فقلت يابن رسول الله (ص) قد قلت فيكم أبياتا افتأذن لي في انشادها فقال ايام البيض قلت فهو فيكم خاصة قال هات ، فانشأت اقول :

أضحكني الدهر وابـكاني والدهر ذو صـرف والوان
لتسعة بالطف قـد غودروا صاروا جميعا رهن أكفـان
وستة لا يتجارى بهـم بنو عقيـل خـير فرسان
ثم علي الخير (٦٩) مولاهـم ذكرهـم هيـج أحزاني

(٦٨) دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت ص ٧٣ تأليف علي عبد عيدان الخزاعي ـ كلية الشريعة ـ جامعة بغداد .

(٦٩) علي الخير : وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الملقب بعلي الخير ، قائد ثورة واقعة فخ

من كـان مسروراً بما مسكم أو شامتـــا يوما من الآن
فقـد ذللتم بعد عز فمـــا أدفـع ضيما حـين يغشاني

الى ان يقول في آخر القصيدة :

متى يقوم الحق فيـكم متى يقوم مهديـــكم الثـــاني

تصوير حي لما صبّ من ظلم وجور شديدين على آل بيت الرسول ( ص ) منتظرين من ورائه الاساءة الموجهة الى مهجة رسول الله وقطع ذريته من بعده أولاً ، وغيظا من ابيهم علي بن ابي طالب عليه السلام ثانيا ، فيما انتهج من سياسة حكيمة عادلة قوية في ذات الله فقد حملهم على المحجة البيضاء ، فقد وليها علي ابن ابي طالب ( ع ) ، وآل مروان وآل معيط مولوّن على رقاب الناس ، وبيت مال المسلمين نهبا في الامصار ، فما من أحد من بني امية إلاوقد غنم ضيعة أوحاز على منصب او جاه ، فقد ساسوا الناس بشريعة الغاب وآل مروان يديرون الدولة بأيدٍ خفية ، فمن وراء الستار يرتفع الظلم والجور ، فقد جاء علي ( ع ) ليرد العدل الى نصابه ليرد الاموال المنهوبة ولو تزوج بها أصحابها ، تصور ما وعورة الازمة التي واجهها الامام وجها لوجه ، علما بأن

---

المشهورة التي ثار فيها العلويون على حكم الطاغية العباسي موسى الهادي .

الامام ( ع ) لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقد تألبت عليه قوى الشر ، واظهرت النفوس دنسها وشرورها واسفرت عن وجه كالح ينم عن الحقد القديم ، فقد فغر الفم عن انيابه المسمومة ، ليصب السم في جسد الدولة الاسلامية الفتية ، إلا أن الامام ( ع ) وقف كالطود الشامخ ، واعلنها صرخة مدوية ، كلمة الى التأريخ، سيكتب عليا كلمة العدل بدمه ، وكلمة اخرى قالها الى التأريخ . وحملها التأ ريخ بأمانة ، وحاول الطلقاء تشويه صفحة التاريخ وتسميم العقول اللامدركة ، إلا أن الكلمة لابد ان تقال ، تقال لتعرف البشرية من هو علي بن أبي طالت ( ع ) ، ولتعرف نسبه وحسبه وعلمه وحقوقه المهضومة :

« انهم والله سمعوها ووعوها ولكن غرهم زبرجها » .

ويؤكد عليه السلام بفهمه الموضوعي لشؤون الامة ، وبمكانه الحق من الرعية :

« وما كل ذي قلب بلبيب ، ولا كل ذي سمع بسميع ، ولا كل ناظر ببصير ، فيا عجبي ، ومالي لا اعجب ، من خطأ هذه الفِرق على اختلاف حججها في دينها ! يعملون في الشبهات : ويسيرون في الشهوات ، المعروف عندهم ما عرفوا ، والمنكر

عندهم ما انكروا [٧٠] مقرعهم في المعضلات إلى أنفسهم ، وتعويلهم في المهمات على آرائهم ، كأن كل امرىء منهم امام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات واسباب محكمات [٧١] .

إن المتفهم لمجريات الامور يرى أن الحكومة الاسلامية لا يمكن ان تقام إلا بأمام عالم بالقضاء كالنبي أو وصي النبي ، وهذا عين ما جاء في كلام الامام علي ( ع ) ، أن الفرقة لايمكن ان تمثل الحكومة الاسلامية إلا في حالة انطلاقها كممثلية شرعية للنبي او وصيه ، وهذا النبي ( ص ) وهذا الوصي عليه السلام إنما هو ممثل اعلى للسلطة القضائية والتنفيذية للدستورية الاسلامية والتي تختلف عن أنواع الدستوريات الاخرى ونظام البرلمانات ونظام المجالس الشعبية ، وذلك لأن الدستورية الاسلامية تعني ان أولى الأمر ملتزمون بما جاء بمجموعة البنود والدساتير التي وردت في القرآن وفي السنة النبوية ، وهذا يختلف طبعا عن نظام الدستورية المطلقة أيضا ، كما ان في الدستورية الاسلامية

---

(٧٠) أي : يستحسنون ما بدا لهم استحسان ، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع الى دليل بيّن أو شريعة واضحة .

(٧١) يثق كل منهم بخواطر نفسه كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى ، على ما بها من جهل ونقص .

تكون السلطة التشريعية هو الله عز مقامه وهو المشرع الأعلى ويكون النبي ووصيه وهو الامام المعصوم ممثلين عن السلطة القضائية والسلطة التنفيذية بينما في الدستوريات الاخرى يكون نواب الشعب هم المشرعون للقوانين ، وبهذا استعيض عن الدستورية الاسلامية آنيا بالمجلس التشريعي المتضمن لكل من السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية في الدستوريات الاخرى .

وقال الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام : إتقوا الحكومة ، فان الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي ( كنبي ) أو وصي نبي ، كما رواه الصدوق بأسناده عن سليمان بن خالد (٧٢) .

« فأنتم ترون أن من يحكم او يقضي بين الناس لابد ان يكون إماما عالما بالقوانين والاحكام ، وأن يكون عادلاً ، وهذه الشروط لا تكون إلا في نبي أو وصي نبي » (٧٣) ، ومما تقدم يظهر بجلاء ان علي بن ابي طالب عليه السلام ذو النسب الرفيع

---

(٧٢) الوسائل ، كتاب القضاء ، الباب ٣ الحديث ٣ ، ١٨ / ٧ الطبعة الحديثة .

(٧٣) الحكومة الاسلامية للمرجع الديني الأعلى الامام المجاهد السيد روح الله الخميني .

والحسب اللامع والعلم المخزون ، فقد أكد رسول الله ( ص ) « علي أقضاكم » ، فهو امام عالم بالقضاء ، وهذا يستدعي العدالة، وفي توفر العدالة ، يكون الامام حجة الله في خلقه ، وهذا عين ما تمثل بعلي عليه السلام ، ولم يتمثل في اي رجل آخر ، وما نفهم من ان عليا حجة الله ؟ وهل تعني الحجة خبر الواحد ؟ وهل أنه معنى ( حجة الله ) ، أن صاحب الامر عليه السلام اذا اخبر عن الرسول ( ص ) بخبر فعلينا أن نأخذ به كما نأخذ بخبر زرارة ؟ هل هو حجة الله في بيان المسائل والاحكام فقط ؟ اذا قال الرسول ( ص ) اني جعلت عليا عليه السلام حجة عليكم ، فهل معنى ذلك : اني سأذهب واخلف فيكم عليا يبين لكم المسائل والاحكام ويوضحها ؟ ام ماذا ؟

« إن حجة الله تعني أن الامام مرجع للناس في جميع الامور، والله قد عينه ، واناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم ، فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين ، فتكون افعاله وأقواله حجة على المسلمين ، يجب انفاذها، ولا يسمح بالتخلف عنها ، في اقامة الحدود ، وجباية الخمس والزكاة والخراج والغنائم وانفاقها ، وذلك يعني انكم إذا راجعتم — مع وجود الحجة — حكام الجور فأنتم محاسبون على ذلك

ومعاقبون عليه يوم القيامة . فالله ـ سبحانه ـ يحتج بأمير المؤمنين عليه السلام على الذين خرجوا عليه ، وخالفوا عن أمره ، كما يحتج على معاوية وحكام بني امية وبني العباس وأعوانهم ومساعديهم . بما غصبوه من الحق ، وبما اشغلوه من المنصب الذي ليسوا به بأهل » (٧٤) .

وبهذا يكون حكم المتخلف عن علي عليه السلام حكمه حكم المتخلف عن رسول الله ( ص ) لأن علي عليه السلام نفس النبي وحبيبه ومن أحب رسول الله ( ص ) فقد احب الله عز وجل .

فقد كان رسول الله ( ص ) يؤكد على مسامع المسلمين بأن علياً بضعة منه :

يقول رسول الله ( ص ) : « أنت اخي في الدنيا وفي الآخرة» ، « من احب عليا فقد احبني ، ومن احبني فقد احب الله » ، « اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه » .

« علي منى وأنا من علي » ، « علي مع القرآن والقرآن مع علي » .

ويقول رسول الله ( ص ) في مكانة علي عليه السلام من

---

(٧٤) الحكومة الاسلامية : للامام المجاهد السيد روح الله الخميني . ص ٧٨ .

المسلمين .

« حق علي على المسلمين حق الوالد على الولد » .

ويقول ( ص ) ولداي هذان إمامان ، قاما أو قعداً » .

ولكن غرتهم الدنيا فغالوا بجهالتهم وطيشهم وكبريائهم ، وغالوا بشرورهم ، ويقول رسول الله فيهم « إنكم والله ما اسلمتم وإنما أستسلمتم » .

ويقول عليه السلام « انهم سمعوها ووعوها ولكن غرهم زبرجها » ، انهم سمعوها والله وعلموها تلك وصاية علي وامامته للمسلمين ، ولكنها والله لشقشقة .

يقول شاعرهم في كبريائهم وغلوائهم السقيمة :

ما أعجب الدهر في تصرفه والدهر لا تنقضي عجائبه
فكم رأينا في الدهر من اسد بالت على رأسه ثعالبه

« أما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة ، وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقي الي الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا (٧٥) ، وطفقت

---

(٧٥) كشحا : أي قطعتها وصرمتها ، وعندي انهم ارادوا من اجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أن من اكل وشبع فقد ملأ كشحه

أرتئي بين ان اصول بيد جذاء [٧٦] او ان اصبر على طخيةٍ [٧٧] عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، ارى تراثي نهبا » [٧٨] .

« وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

ولم يغال الشعراء حين قالوا وأسرفوا في القول في فضائلهم وعلمهم وشرفهم ومكانتهم في نسبهم وامامتهم ، وهذا الكميت بن زيد الاسدي ممن إنقدح يراعهم وطفح شوقهم ، ونطقت السنتهم منشدين ، يقول في بائيته الذائعة :

فهم هي لـم تصلح سواهـم ... فإن ذوو القربى احق وأوجب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وارجب [٧٩]

---

(٧٦) واليد الجذاء : أي المقطوعة .

(٧٧) الطخية : قطعة من الغيم والسحاب .

(٧٨) في كلام للامام علي عليه السلام عن حقوقه المهضومة في خطبة شماء موسومة بالخطبة الشقشقية شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٧٧ .

(٧٩) بكيل وارجب قبيلتان من قبائل العرب .

ويقول في العلويين :

فهم الاقربون من كل خير وهم الابعدون من كل ذام
وهم الاوفون بالناس في الرأ فة والاحلمون في الاحلام
بسطوا أيدي النوال وكفوا ايدي البغي عنهم والعرام
اخذوا القصد فأستقاموا عليه حين مالت زوامل الايام
خير حي وميت من بني آد م طرا مأمومهم والامام

ولكن انى لمن يزيف التاريخ أن ينال من مكارم علي بن ابي طالب عليه السلام ، إن علياً (ع) لم يرد الدنيا للدنيا ، فقد تزهد وتعبد ، واعرض عن زبرجها ومفاتنها ، فكان كالنبراس لنا والضوء المنير في سماء لياليا المظلمة .

يقول عليه السلام في خطبة له في اعراضه عن الدنيا وزينتها :

« ألا وإن امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (٨٠) ومن طعمه بقرصيه ! ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا اعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من ارضها شبراً ، ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات

(٨٠) الطمر : الثوب الخلق .

أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص (٨١) ولا عهد له بالشبع ! او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرّى (٨٢) أو اقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ! ؟ وكأني بقائلكم يقول : « إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ؟ » ألا وإن الشجرة البرية اصلب عوداً ، والروائع الخضرة ارق جلوداً ، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وابطأ خموداً ! والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ! » .

وهـذا دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت في تائيته المشهورة ، والتي يصفها الادباء بالذائعة النائحة ، وثيقة تاريخية تنطق بالسياسة الجائرة والدموية والتي سار عليها اعداء اهل بيت النبوة والرسالة يبغون من ورائها قطع نسل رسول الله ( ص ) في ابنائه وذريته الطاهرين البررة ، واجحافهم في حقهم بامامتهم ، ولكن أني لهم ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، يقول دعبل الخزاعي في تائيته والتي انشدها بحضرة الامام علي بن موسى بن جعفر

(٨١) القرص : الرغيف .

(٨٢) غرثى : جائعة ، حرى : عطشى .

( الرضا ) عليهما السلام :

نجاوبن بالارنان والزفرات ... نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالانفاس عن سرّ انفس ... اسارى هوى ماض وآخر آت
فأسعدن، واسعفن حتى تقوضت ... صفوف الدجى بالفجر منهزمات
على العرصات الخاليات من المها ... سلام شجصب ، على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد ، مألفا ... من العطرات البيض والخفرات
ليالي يعدين الوصال على القلى ... ؛ يعدي تدانينا على الغربات
واذ هن يلحظن العيون سوافراً ... ويسترن بالايدي على الوجنات
واذ كل يوم لي بلحظي نشوة ... يبيت لها قلبي على نشوات
فكم حسرات هاجها بسحر ... وقوفي يوم الجمع من عرفات
ألم تر للأيام ماجر جورها ... على الناس من نقص وطول شتات
ومن دول المستهترين ، ومن غدا ... بهم طالبا للنور في الظلمات
فكيف ؟ ومن أنى يطالب زلفة ... إلى الله بعد الصوم والصلوات
سوى حب ابناء النبي ورهطه ... وبعض بني الزرقاء والعبلات
وهند ، وما أدت سمية وابنها ... اولو الكفر في الاسلام، والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ... ومحكمه بالزور والشبهات
ولم تك إلا محنة كشفتهم ... بدعوى ضلال من هن وهنات
تراث بلاقربى ، وملك بلاهدى ... وحكم بلا شورى بغير هداة

رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة ... وربت اجاجا طعم كل فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم ... على الناس إلا بيعة الفلتان
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة ... بدعوى تراث في الضلال بتات
ولو قلدوا الموصى اليه زمامها ... لزمت بمأمون على العثرات
أخا خاتم الرسل المصفى من القذى ... ومفترس الابطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهيده ... وبدر واحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلى بفضله ... وإيثاره بالقوت في اللزبات
وغر خلال ، ادركته بسبقها ... مناقب كانت فيه مؤتنفات
مناقب لم تدرك بكيد ، ولم تنل ... بشيء سوى حد القنا الذربار
نجي لجبريل الأمين ، وأنتم ... عكوف على العزى معا ومناة
بكيت لرسم الدار من عرفات ... وأذريت دمع العين بالعبرات
وفك عرى صبري وهاجت صبابتي

رسوم ديار أقفرت وعرات

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبد الله والفضل صنوه ... نجي رسول الله في الخلوات
منازل وحي الله ينزل بينها ... على أحمد المذكور في السورات

منازل قوم يهتدى بهداهم ... فتؤمن منهم زلة العثرات
منازل كانت للصلاة وللتقى ... وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها ... من الله بالتسليم والرحمات
منازل وحي الله معدن علمه ... سبيل رشاد واضح الطرقات
ديار عفاها كل جون مبادر ... ولم تعف للايام والسنوات
فيا وارثي علم النبي وآله ... عليكم سلام دائم النفحات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى ... افانين في الآفاق مفترقات
هم اهل ميراث النبي اذا أعتزوا ... وهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم في الاعسار في كل مشهد ... لقد شرفوا بالفضل والبركات
وما الناس إلا حاسد ومكذب ... ومضطغن ذو أحنة وتراث
اذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبرات
فكيف يحبون النبي ورهطه ... وهم تركوا احشاءهم وغرات
لقد لا ينوه في المقال وأضمروا ... قلوبا على الأحقاد منطويات
فإن لم تكن إلا بقربى محمد ... فهاشم أولى من هن وهنات
سقى الله قبراً بالمدينة غيثه ... فقد حل فيه الأمن بالبركات
نبي الهدى ، صلى عليه مليكه ... وبلغ عنا روحه التحفات
وصلى عليه الله ماذر شارق ... ولاحت نجوم الليل مبتدرات

افاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشانا بشط فرات
اذن للطمت الخد فاطم ! عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
افاطم !قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان واخرى بطيبة ... واخرى بفخ فالهـا صلواتي
واخرى بأرض الجوزجان محلها ... وقبر بباخمرا ، لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكيـة ... تضمنهـا الرحمن في الغرفات
فأما المصمات التي لست بالغا ... مبالغهـا مني بكنـه صفات
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
معرسهم فيهـا بشط فرات
توفوا عطاشا بالفرات ، فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي
الى الله اشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الذل والفظعات
أخاف بأن ازدارهم فتشوقني ... مصارعهم بالجزع فالنخلات
تقسمهم ريب الزمان ، كما ترى ... لهـم عفرة مغشية الحجرات
سوى أن منهم بالمدينة عصبة
ـ مدى الدهر ـ انضاء من الازمات
قليلة زوار ، سوى بعض زور ... من الضبع والعقبان والرخمات
لهم كل حين نومة بمضاجع ... - لهم في نواحي الارض - مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير ، يختارون في السروات

تنكب لأواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمرات
حمى لم تزره المدنيات ، وأوجه ... تضيء لدى الاستار في الظلمات
اذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمرات
وان فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والفرقان والسورات
وعدوا عليا ذا المناقب والعلا ... وفاطمة الزهراء خير بنات
وحمزة والعباس ذا الهدي والتقى
وجعفراً الطيار في الحجبات

اولئك ، لامنتوج هند وحزبها ... سمية ، من نوكى ومن قذرات
ستسأل تيم عنهم وعديها ... وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الاباء من أخذ حقهم ... وهم تركوا الابناء رهن شتات
وهم عدلوها عن وصي محمد ... فبيعتهم جاءت على الغدرات
ملامك في اهل النبي ، فأنهم ... أحباي ، ما عاشوا واهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري ، فانهم ... على كل حال خيرة الخيرات
نبذت اليهم بالمودة صادقا ... وسلمت نفسي طائعا لولاتي
فيا رب زدني من يقيني بصيرة ... وزد حبهم يارب ! في حسناتي
سأبكيهم ما حج لله راكب ... وما ناح قمري على الشجرات
بنفسي أنتم من كهول وفتية ... لفكِ عناة ، او لحمل ديات
وللخيل لما قيد الموت خطوها ... فأطلقتم منهن بالذربات

أحب قصي الرحم من اجل حبكم واهجر فيكم اسرتي وبناتي
واكتم حبيكم مخافة كاشح عنيد لأهل الحق غير موات
فيا عين ابكيهم وجودي بعبرةٍ فقد آن للتسكاب والهملات

لقد حفت الايام حولي بشرها واني لأرجو الأمن بعد وفاتي
الم تر اني من ثلاثين حجة أروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فكيف اداوي من جوى ؟ لي والجوى
أمية اهل الفسق والتبعات

فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد حفل القصرات
بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
سأبكيهم ماذر في الارض شارق ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها وبالليل ابكيهم ، وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا وآل زياد تسكن الحجرات

وآل رسول الله تسبى حريمهم وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول الله تدمى نحورهم وآل زياد آمنوا السربات
اذا وتروا مدوا الى واتريهم أكفا عن الاوتار منقبضات
فلولا الذي ارجوه في اليوم اوغد لقطع قلبي إثرهم حسرات

خروج امام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات (٨٣)
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم كفاني ما ألقي من العبرات
فيا نفس طيبي ، ثم يا نفسي ابشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من مدة الجور ، انني أرى قوتى قد آذنت بشباتي
فان قرب الرحمن من تلك مدتي وآخر من عمري لطول حياتي
شفيت ، ولم أترك لنفسي رزية ورويت منهم منصلي وقناتي
فاني من الرحمن ارجو بحبهم حياة لدى الفردوس غير بتات
عسى الله أن يرتاح للخلق انه الى كل قوم دائم اللحظات
فإن قلت عرفا ، انكروه بمنكر وغطوا على التحقيق بالشبهات
أحاول نقل الشمس عن مستقرها واسمع احجاراً من الصلدات
فمن عارف لم ينتفع ، ومعاند يميل مع الأهواء والشهوات
قصارى منهم أن اموت بغصة تردد بين الصدر واللهوات
كأنك بالاضلاع قد ضاق رحبها لما ضمنت من شدة الزفرات

ومن الابيات التي قالها دعبل في علي ( ع ) ومكارمه :

إلا أنه طهر زكي مطهر سريع الى الخيرات والبركات

---

(٨٣) يشير الى الامام المنتظر الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه .

غلاماً وكهلاً خير كهل ويافع وأبسطهم كفا الى الكربات
واشجعهم قلبا ، واصدقهم أخا واعظمهم في المجد والقربات
اخو المصطفى ، بل صهره ووصيه في القوم والستار للعورات
كهارون من موسى على رغم معشر سفال لئام شقق البشرات
فقال : ألا من كنت مولاه منكم فهذا له مولى بعيد وفاتي
اخي ، ووصي ، وابن عمي ، ووارثي
وقاضي ديواني من جميع عداتي (٨٤)

إن الأدلة العقلية والمروية في روايات المؤرخين ، يستدل منها قيام الحجة في امامة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقد تكاملت فيه العصمة واللطف ، وتكامل فيه العلم الفوقي وفي كونه أكمل الناس بعد رسول الله ( ص ) ، واعلم ابناء زمانه ، وهو الشخصية الانسانية التي تتوفر فيها شروط الامامة .

إن تواتر ما جاء في كتاب الله وسنن نبيه وروايات الفقهاء والكتب السماوية الاخرى لهي أدلة موضوعية ، لا بل ان حجة علي ابن أبي طالب عليه السلام تأخذ بأعناق الناس .

قال رسول الله ( ص ) يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي :

---

(٨٤) دعبل بن علي الخزاعي ـ شاعر آل البيت ـ ص ٦٤ ؛ تأليف علي عبد عيدان الخزاعي ـ كلية الشريعة ـ جامعة بغداد .

يقول : هذا امير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ثمّ مدّ بها صوته ( ص ) فقال :

أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن اراد البيت فليأت الباب (٨٥)

وفي لفظ له ( ص ) : انا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب وقال رسول الله ( ص ) :

« أنا ميزان العلم وعلي كفتاه » (٨٦) .

كما قال رسول الله ( ص ) :

« انا ميزان الحكمة وعلي لسانه » (٨٧) .

وقال رسول الله ( ص ) في خطبة غدير خم بعد رجوعه (ص) من حجة الوداع ، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين وقال ( ص ) :

« الست اولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله (ص)

---

(٨٥) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ج ٦ ص ٧٩ تأليف الحجة المجاهد الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي .

(٨٦) أخرجه الديلمي في فردوس الاخبار مسنداً عن ابن عباس مرفوعا وتبعه جمع ونقلوه عنه كالعجلوني في كشف الخلفاء ج ١ ص ٢٠٤ .

(٨٧) ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه الميبدي في شرح الديوان المنسوب الى امير المؤمنين ( ع ) .

قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وادر الحق معه » .

وقال الحافظ عز الدين الشافعي (٨٨) أشار اليه في ابيات له يمدح بها امير المؤمنين عليه السلام :

ليث الحروب المدره الضرغام من ... بحسامه جاب الدياجي والظلم
صهر الرسول أخوه باب علومه ... اقضى الصحابة ذو الشمائل والشيم
الزهد والورع الشديد شعاره ... ودثاره العدل الصميم مع الكرم
في جوده ما البحر ؟ ما التيار ؟ ما ... كل السيول ؟ وما الفوادي والديم
وله الشجاعة والشهامة والحيا ... وكذا الفصاحة والبلاغة والحكم
ما عنتر ما غيره في الباس ؟ ما ... أسد الشرى معه إذ الحرب اصطلم
ما نجل ساعدة البليغ لديه ؟ ما ... سحبان إن نثر الكلام وإن نظم
حاز الفضائل كلها سبحان من ... من فضله أعطاه ذاك من القدم
نصر الرسول وكم فداه ؟ فياله ... من نجل عم فضله للخلق عم
كل أقر بفضله حقا وذا ... امر جلي في « علي » ما انبهم

وقال شهاب الدين احمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المكي المتوفى ٩٧٤ ، فقد ذكره في ( الصواعق ) ص ٧٣ ، وفي شرح

---

(٨٨) وهو الحافظ عز الدين عبد العزيز المعروف بابن نهد الهاشمي المكي الشافعي المتوفى عام ٩٢٢ .

الهمزيه للبوصيري (٨٩) حيث قال :

كم أبانت آياتـه من علوم عن حروف ابان عنهـا الهجاء

وقال :

ووزير ابن عمـــه في المعالي ومن الاهـل تسود الوزراء

وقال ايضا :

لم يزده كشف الغطاء يقينـا بل هو الشمس ماعليه غطاء (٩٠)

إن قيام الدليل العقلي على امامة علي بن أبي طالب ( ع ) ، هو التسليم بوصاية علي عليه السلام لرسول الله ( ص ) ووراثة علمه ، وحمل لوائه من بعده وحكمه بكتاب الله وسنته الشريفة ولكن « ألا لعنة الله على الظالمين » ، إن علي عليه السلام كوكب لماع في سماء ظلماء في دهر مدلهم ، فهو مكرم في حياته ومماته ، فقد كرمه الله عز وجل عندما أراه نور العالم ، جاء الى الدنيا والناس يطوفون حول الكعبة المشرفة ، ففغرفاه ، وأنصت ، إنه بيت الله ، وجاءه الخبر بأنك ستموت بضا في بيت الله ، فقد اضاء

---

(٨٩) وهو شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد الدلاصى المتوفى عام ٦٩٤ .

(٩٠) الغدير في الكتاب والسنة والادب ج ٦ ص ٧١ الشيخ عبد الحسين أحمد الاميني النجفي .

الكون بنور محيّاه الأبلج ، وفاح في الاجواء شذى عنصره الاقدس ، وهذه حقيقة ناصعة اتفق على إثباتها الفريقان ، وتواترت بها الأحاديث ، وطفحت بها الكتب ، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نصّ جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الاثارة .

قال عبد الباقي أفندي في مكرمة ولادة علي في الكعبة :

انت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة عند البيت اذ وضعا(٩١)

وقال عبد الباقي في نفس القصيدة :

وانت انت الذي حطت له قدم في موضع يده الرحمن قد وضعا(٩٢)

وقد اشار العلامة السيد رضا الهندي الى هذه المكرمة بقوله:

لما دعاك الله قدما لأن تولد في البيت فلبّيته
شكرته بين قريش بأن طهرت من أصنامهم بيته

إن الله عز وجل كرّم عليا عليه السلام ، فقد جعل موضع ولادته الشريفة في بيت من بيوته ، والى هذا يشير السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣ حيث قال :

---

(٩١) سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية ، لعبد الباقي أفندي العمري ص ١٥ .

(٩٢) نفس المصدر ص ٧٥ .

ولدتـــه في حرم الإلـــه وأمنه والبيت حيث فنـــاؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمـــة طابت وطاب وليدها والمولـــد
في ليلة غابت نحوس نجومهـــا وبدت مع القمر المنير الاسود
ما لف في خرق القوابل مثـــله الا ابن آمنة النبي « محمـــد »

وقال الحاج ميرزا اسماعيل الشيرازي المتوفى سنة ١٣٠٥ . احد شعراء الغدير من حجج الطائفة يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر ، له قصيدة موشحة في المولود المقدس ألا وهي :

رغـــد العيش فزده رغـــداً بسلافٍ منـــه تشفي سقمي
طرب الصبُّ على وصل الحبيب وهنى العيش على بعد الرقيب
وفتني من أكؤس الراح النصيب رائتني توما بهـــا لا مفرداً
فالهناء كلّ الهنا في التوأم (٩٣)

ان علياً عليه السلام كبير في الارض كبير في السماء ، وولادته في الكعبة المشرفة جاءت من الادلة على شرف امامته ، وشرف شخصه كابن عم النبي ( ص ) ونفسه ، ووصي رسول الله (ص) ، والمكرم عند رسوله ( ص ) ، وفي كتاب الله عز وجل .

قال عز من قائل « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا

---

(٩٣) الغدير ج ٦ ص ٢٩ لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي .

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (٩٤) .

وقال عز من قائل :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٩٥) وكما كرم الله عز وجل عليا عليه السلام بالعلم .

« وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » (٩٦) .

وقال عز من قائل في فضل علي عليه السلام :

« أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي إلا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون » (٩٧) .

وقال عز من قائل :

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا » (٩٨) .

---

(٩٤) سورة المائدة : ١٥ .

(٩٥) سورة الاحزاب : ٣٣ .

(٩٦) سورة الروم : ٥٦ .

(٩٧) سورة يونس : ٣٥ .

(٩٨) سورة النساء : ٥٤ .

وقال عز من قائل :

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله تعالى عما يشركون » (٩٩) .

ان الله عز وجل يعلم أين يضع رسالته ، ومن يختار ، ويستخلف مايشاء ، فكان عليا أهلاً للمكان المنزه والمنزلة الرفيعة.

وهذا رسول الله في حديث المنزلة ، قد أنزل عليا عليه السلام المنزلة السامية ، فإن محل علي منها ( محل القطب من الرحا ) .

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبيّ بعدي ».

يقول شاعرهم :

وإنك مني خاليا من نبوّة كهارون من موسى وحسبك فاحمد

وكان علي عليه السلام قد سبق الأمة الى الاسلام والى الايمان بكتاب ربه عز وجل وتصديق رسوله الاكرم الامين (ص).

يقول شاعرهم :

وكان من الصبيان أول سابق الى الدين لم يسبع بطائع مرشد

وكان رسول الله يحبه بقدر ليس له حصر وينزله من نفسه منزلة خاصة ، ويحنو عليه حنو الاب على ابنه الوحيد .

---

(٩٩) سورة القصص : ٦٨ .

(١٠٠) الدقعاء : التراب اللين ..

وجد رسول الله ( ص ) عليا أمير المؤمنين ( ع ) وعمار بن ياسر نائمين في دقعاء [١] من التراب فأيقظهما وحرك علياً فقال : قم يا ابا تراب ألا اخبرك بأشقى الناس رجلين : احيمر [٢] ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذه ( يعني قرنه ) فيخضب هذه منها ( يعني لحيته ) .

وجاء في مجمع الزوائد ٩ ص ١١ ، وفي مناقب الخوارزمي ص ٢٢ ، وفي الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ ، كما وأخرج ابو يعلي في مسنده بأسناده عن علي عليه السلام قال : طلبني رسول الله ( ص ) فوجدني في جدول نائما فقال : اليوم الناس يسمونك أبا تراب ، فرآني كأني وجدت في نفسي من ذلك ، فقال : قم والله لارضينك انت اخي وابو ولدي ، تقاتل عن سنتي وتبرء عن ذمتي ، من مات في عهدي فهو كبر الله . ومن مات بي عهدك فقد قضى نحبه ، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والايمان ما طلعت شمس أو غربت ، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل في الاسلام [٣] .

---

(١) الدقعاء : التراب اللين .

(٢) أحيمر لقب قدار بن سالف عاقر ناقة صالح .

(٣) الغدير ج٦ ص ٣٣٥ للشيخ عبد الحسين احمد الاميني النجفي .

إن علياً ( ع ) شخصية اسلامية وعربية كبيرة ، وانسانية لا تدركها الذوات ، ولا تحدها الفلوات ، فهو عليه السلام من النبي ( ص ) ومن الله عز وجل بهذه المنزلة الخصيصة ، فكيف من قلوبنا أن تنزله منزلة الجسد من النفس ، فلو جردنا جدلاً الحركات الفكرية في الاسلام من علي بن أبي طالب ( ع ) لبقي الفكر حزينا يئن في الطوامير الظلماء ، ولأصبح شاحباً هزيلاً ، فهو منبع العلوم ومشعها ، إن مسنا ضوئه اضاء الظلمة الظلماء من العقول فقد أشار كرم الله وجهه الى مكانته الفكرية والانسانية، والى إنتصافه للحقوق البشرية في رعيته :

« وكنت كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف : لم يكن لأحد فيّ مهمز (٣) ولا لقائل فيّ مغمز ، الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحقّ له ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ! » .

ويقول امامنا بفكر ثاقب مصوراً فيه الحاضر والمستقبل ، وهما سائران جنبا الى جنب في طريقهما الى الزوال ، الى قيام الساعة ، وهذه طبيعة الوجود :

---

(٣) الهمز والغمز : الوقيعة ، أي : لم يكن فيّ عيب اعاب به .

« مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا تنالون منها — يعني الدنيا — إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تجدد له زيادة في اكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، ولا يتجدد له جديد إلا بعد ان يخلق له جديد (٤) ولا تقوم لهنابتة إلا وتسقط منه محصودة ، وقد مضت أصول نحن فروعها ! » (٥)

إن العلم اللدني في فكر علي عليه السلام ، إنما هو منزلة الامامة الحقة والمركز الآلهي الرفيع والذي خصه الله عز وجل بوصية من رسوله وحبيبه محمد ( ص ) وفي ذريته الطاهرين الابرار •

وجاء في البحار أن رسول الله ( ص ) قال :

خلقت أنا وعلي ابن ابي طالب من نور واحد يسبح الله تعالى يمين العرش قبل ان خلق آدم عليه السلام بألفي عام ، فلما ان خلق الله تعالى آدم عليه السلام جعل ذلك النور في صلبه ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه ولقد ركب نوح عليه السلام السفينة ونحن في صلبه ولقد قذف

---

(٤) يخلق : يبلى •

(٥) روائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص ١٥٣ •

ابراهيم عليه السلام في النار ونحن في صلبه فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة الى ارحام طاهرة حتى انتهى بنا الى عبد المطلب فقسمنا بنصفين فجعلني في صلب عبد الله وجعل عليا في صلب أبي طالب وجعل فيَّ النبوة والبركة وجعل في علي الفصاحة والفروسية وشقَّ لنا إسمين من اسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد والله الأعلى وهذا عليٌّ .

وقال رسول الله ( ص ) ، ليلة أسري بي الى السماء قال لي الجليل جل جلاله ، يا محمد من خلفت في امتك ، قلت خيرها قال علي بن ابي طالب ( ع ) قلت نعم يا رب قال يا محمد اني اطلعت الى الارض اطلاعة فأخترتك منها فشققت لك إسما من اسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي فأنا المحمود وانت محمد ثم اطلعت الثانية فأخترت منها عليا وشققت له اسما من اسمائي فأنا الأعلى وهو عليٌّ يا محمد اني خلقتك وخلقت علياً والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السموات والارض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان من الكافرين .

يقول شاعرهم :

بئر معطلة وقصر مشرف  مثل لآل محمدٍ مستطرف

فالقصر مجدهم الذي لايرتقى والبئر علمهم الـذي لا ينزف

ويقول النجم الزاهر الامام محمد الباقر عليـه السلام في امامتهم وحجتهم على الناس ، ومدى ما أصيبوا به من النكبات ومشيراً إلى حقهم المهضوم . والى الآلام والرزايا التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام . « وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعهـا في الآنام كاظمنـا
عظيمـة في الأنام محنتنـا أوّلنـا مبتلى وآخرنا
يفرح هـذا الورى بعيدهـم ونحن اعيادنا مآتمنـا
والناس في الأمن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنـا
وماخصصنا بهمن الشرف الطائل بين الأنام افتتنـا
يحكم فينا والحكم فيه لنـا جاحدنا حقنا وغاصبنـا

إن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه محارب فكري ، فهو مقاتل في شتى الميادين ، انه شخصية فذة في عصرنا الماضي والحاضر والسائر الى المستقبل انه كبير في مكانته كبير في شخصيته كبير في علمه كبير في امامته ، علينا ان نعطي لعلي عليه السلام مكانته الواجب اعطائها اليه ، ومن هذا المنطلق الفكري وجبت الموضوعية على حجة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

إن علياً عليه السلام انسان مفكر ، قد وعى الامور بفكر ثاقب ، وكان اكبر من قدرات الناس ومفاهيمهم ، ان علياً ( ع ) هو العدالة البشرية ، وهو الحقيقة الكبرى ، في عالم تملؤه الشرور والدنس ، إن علياً ( ع ) هو الدر اللامع والضوء الساطع والذهب المصفى ، وهو المضيء في سماء لياليا المظلمة .

يقول الشاعر :

علي الدر والـذهب المصفى وباقي النـاس كلهـم تراب

إن الجمعية الفرنسية لاعلان حقوق الانسان تدين الى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، في وضعه البنود الاولى لدستور حقوق الانسان .

إن علياً (ع) عبدالله ، إن عليا وصي وامام ، إنعليا انسانمفكر زاخر بالعاطفة والحنان ، ومتواضع وموحد لله في أرضه .

إن علي عليه السلام امة مستقلة بذاتها ، اذ لا يمكن أن نقرن اسم علي بأسماء المفكرين والعظماء اذ لا يمكن أنه نقرن الارض بالقمر نوراً وجمالاً ، إن علياً ( ع ) أدرك الزمان بفكر ثاقب ، اذ كأنه يحكي عقلية الدهر ويعبر عن نضج الزمان .

« اللهم قد انصاحت جبالنا ، واغبرت أرضنا ، وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على أولادها ، وملت

التردد في مراتعها والحنين الى مواردها ، أللهم فأرحم انين الآنة ، وحنين الحانة ! اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وأنينها في موالجها ! اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين وأخلفتنا مخايل الجود ، فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس:

ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام ، ان لا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا ، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المفدق والنبات الموتق سحاً وابلاً تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات ، اللهم سقيا منك محيية مروية ، تامة عامة ، طيبة مباركة هنيئة مريعة ، زاكيا نبتها ، ثامراً فرعها ناضراً ورقها ، تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك ، اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها أقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة ! » .

وهذا رسول الله ( ص ) يضع لشكوك الامة والرعية حداً بتولية خليفته من بعده وبأمر من الله تعالى وهو ابن عمه علي بن أبي طالب عليهما السلام .

فهذا حديث المنزلة : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي » ، ثم إنذار العشيرة الاقربين : « إن هذا

— يعنى علياً عليه السلام — أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم فأسمعوا له واطيعوا » .

وهناك من بين الاحاديث وأهمها ، حديث الغدير وحديث رسول الله ( ص ) في ذلك اليوم العظيم بأستخلافه علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للناس .

وفي هذه الواقعة بُلغ رسول الله ان يعلم الناس بأمامة علي عليه السلام امام الملأ ، ففي سنة ١٠ هـ خرج رسول الله ( ص ) إلى حجة الوداع وفي طريق العودة حيث مفترق طريق العراقيين ، والمدنيين ، واليمنيين أتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النهار فقال : يامحمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك :

« يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » في علي « وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

فأمر رسول الله ( ص ) أن يرد من تقدم منهم ، ويجلس من تأخر ، ووضعت له أحجار على شكل منبر ، فصعدها الرسول (ص) وخطب خطبته الموسومة بالغدير ، وقد روى حديث الغدير هذا من الصحابة مائة وعشرة ، فيهم : علي ، والشيخان ( أبو بكر ، وعمر ) وعثمان بن عفان ، وأبو هريرة وعائشة وغيرهم ، ورواه من التابعين اربعة وثمانون تابعيا ، ورواه من أئمة الحديث وحفاظه

والاساتذة ثلاثمائة وستون شخصا .

وفي خطبة الغدير اعلان لكلمة الحق العليا وعلى رؤوس الاشهاد ، بامامة وخلافة علي ( ع ) على الناس .

يقول رسول الله ( ص ) في خطبته التاريخية والتي تقدم اساسا على التصريح الكامل بولاية وامامة علي بن أبي طالب (ع) ، وبنص صريح معلن ، وتعتبر خطبة الغدير دستور متكامل خلفه رسول الله في امته متمثلاً بشخص علي ( ع ) في امامته :

« الحمد لله الذي علا في توحده ، ودنا في تفرده ، وجل في سلطانه وعظم في أركانه ، واحاط بكل شيء علما وهو في مكانه ، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه ، مجيداً لم يزل ، محموداً لا يزال ، باريء المسموكات وداحي المدحوات [٦] ، وجبار السماوات ، قدوس سبوح رب الملائكة والروح ، متفضل على جميع من برأه ، متطول على من ادناه ، يلحظ كل عين والعيون لا تراه ، كريم حليم ذو أناة [٧] قد وسع كل شيء رحمته ، ومن عليهم بنعمته لا يعجل بأنتقامه ولا يبادر اليهم بما استحقوا من عذابه ، قد فهم السرائر وعلم الضمائر ولم تخف عليه المكنونات ،

(٦) أي : خالق المرفوعات ، وباسط المبسوطات .

(٧) أي : ذو انتظار وتمهل لا يسرع في العقوبة .

ولا اشتبهت عليه الخفيات له الاحاطة بكل شيء ، والغلبة على كل شيء ، والقوة في كل شيء ، لا مثله شيء ، وهو منشيء الشيء حين لا شيء ، دائم قائم بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، جل عن ان تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير لا يلحق أحد وصفه من معانيه ، ولا يجد احد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دل عز وجل على نفسه واشهد بأنه الذي ملأ الدهر قدسه ، والذي يغشى الأبد نوره ، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ولا معه شريك في تقدير .

والا تفاوت في تدبير ، صوّر ما أبدع على غير مثال وخلق ما خلق بلا معونة من احد ولا تكلف ولا احتيال ،فانشأها فكانت وبرأها فبانت ، فهو الله لا إله إلا هوالمتقن الصنعة الحسن الصنيعة العدل الذي لا يجوز ، والأكرم الذي ترجع اليه الامور ، وأشهد انه الذي تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لعزته ، واستسلم كل شيء لقدرته ، وخشع كل شيء لهيبته ، مالك الاملاك ، ومفلك الافلاك (٨) ومسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى يكور (٩) الليل على النهار ، ويكور النهار

(٨) اي : خالق الافلاك لأنها قبل الخلق لم تكن فلكاً .

(٩) التكوير : الادخال ، أي : يدخل الليل على النهار ويدخل

على الليل يطلبه حثيثاً [١٠] قاصم كل جبار عنيد ، ومهلك كل شيطان مريد ، ولم يكن معه ضد ، ولا ند ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، إله واحد ورب ماجد ، يشاء فيمضي ويريد فيقضي ويعلم فيحصي ، ويميت ويحيى ويفقر ويغني ، ويضحك ويبكى ويدني ويقصي [١١] ويمنع ويثري ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل آلا وهو العزيز الغفار ، مجيب الدعاء ومجزل العطاء محصي الانفاس ورب الجنة والناس ، لا يشكل عليه شيء ، ولا يضجره صراخ المستصرخين ، ولا يبرمه [١٢] الحاح الملحين ، العاصم للصالحين والموفق للمفلحين ، ومولى المؤمنين ورب العالمين ، الذي استحق من كل من خلق أن يشكره ويحمده على السراء ، والضراء والشدة والرخاء ، أو من به وبملائكته وكتبه ورسله اسمع امره واطيع وابادر الى كل ما يرضاه ، وأستسلم لما قضاه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته ،

---

النهار على الليل .

(١٠) أي : سريعاً .

(١١) اي : يبعد .

(١٢) أي لا يضجره ولا يمله .

لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره ، أقر له على نفسي بالعبودية ، واشهد له بالربوبية ، وأؤدي ما اوحي الي [١٣] حذراً من ان لا افعل فتحل بي منه قارعة [١٤] الا يدفعها عني أحد وان عظمت حيلته ، لا إله إلا هو لأنه قد أعلمني اني ان لم ابلغ ما انزل اليّ فما بلغت رسالته ، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة ، وهو الله الكافي الكريم ، فأوحى الي « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » [١٥] .

معاشر الناس : ما قصرت في تبليغ ما انزله اليّ وانا مبين لكم سبب هذه الآية : أن جبرئيل هبط الي مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي — وهو السلام — أن اقوم في هذا المشهد فاعلم كل ابيض واسود أن علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي والامام من بعدي ، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وهو وليكم بعد الله ورسوله . وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه .

---

(١٣) اي : من تبليغ الناس امامة علي وخلافته بعده .

(١٤) اي : داهية ونكبة مهلكة .

(١٥) سورة المائدة : ٥٥ .

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وعلي بن أبي طالب اقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل في كل حال وسألت جبرئيل أن يستعفى لي عن تبليغ ذلك اليكم ايها الناس لعلمي بقلة المؤمنين وكثرة المنافقين وادغال (١٦) الاثمين وختل (١٧) المستهزئين بالاسلام الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم » وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني اذناً ، وزعموا اني كذلك لكثرة ملازمته اياي واقبالي عليه ، حتى انزل الله عز وجل في ذلك « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل اذن » على الذين يزعمون انه أذن « خير لكم » (١٨) الآية ، ولو شئت ان اسمي القائلين بأسمائهم لسميت ، وان اومىء اليهم بأعيانهم لأومأت ، وأن ادل عليهم لدللت ، ولكني والله في امورهم قد تكرمت ، وكل ذلك لايرضي الله مني إلا ان ابلغ ما أنزل الله الي.

ثم تلى صلى الله عليه وآله وسلم « يا ايها الرسول بلغ ما

---

(١٦) الادغال : الخيانة والاغتيال .

(١٧) الختل : الخداع .

(١٨) الآية : سورة التوبة ٦١ .

انزل اليك من ربك » في علي « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » فأعلموا :

معاشر الناس : ان الله قد نصبه لكم ولياً واماماً مفترضة طاعته على المهاجرين والانصار وعلى التابعين باحسان وعلى البادي والحاضر وعلى الاعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود ، وعلى كل موحد ، ماض حكمه ، جائز قوله ، نافذ أمره ملعون من خالفه مرحوم من تبعه ومن صدقه ، فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له .

معاشر الناس : انه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فأسمعوا واطيعوا وانقادوا لأمر ربكم ، فإن الله عز وجل هو وليكم والهكم ، ثم من دونه رسولكم محمد وليكم والقائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم وامامكم بأمر الله ربكم ثم الامامة في ذريتي من ولده الى يوم تلقون الله عز اسمه ورسوله ، لاحلال إلا ما احله الله ولا حرام الاّ ما حرمه الله ، عرفني الله الحلال والحرام وأنا افضيت (١٩) بما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه اليه .

معاشر الناس : ما من علم إلا وقد احصاه الله فيّ ، وكل علم علمته فقد احصيته في امام المتقين وما من علم إلا وقد علمته علياً

---

(١٩) أي : بلغت واعلمت .

وهو الامام المبين .

معاشر الناس : لا تضلوا عنه ولاتنفروا منه ولا تستكنوا (٣٠) من ولايته ، فهو الذي يهدي الى الحق ويعمل به ويزهق (٣١) الباطل وينهي عنه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم (٣٢) .

ثم انه أول من آمن بالله ورسوله (٣٣) ، والذي فدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، والذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسول الله من الرجال (٣٤) غيره.

معاشر الناس : فضلوه فقد فضله الله ، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس : انه امام من الله ، ولن يتوب الله على أحد

---

(٣٠) اي : لا تستتروا ، بمعنى : لا تغروا .

(٣١) اي : يجعله مضمحلاً متلاشياً .

(٣٢) اي : لا يمنعه عن الاسترسال في اداء التكليف والدعوة ملامة اللائمين ، كناية عن ملازمته للحق وعدم اغرافه عنه أبداً .

(٣٣) وقد اتفقت كلمة جميع فرق المسلمين على انه اول من آمن بالله والرسول ( ص ) .

(٣٤) فإن « خديجة » عليها السلام آمنت بالرسول ( ص ) بعد علي عليه السلام ، وظلا مع رسول الله ( ص ) وحدهم يعبدون الله برهة من الزمن حتى آمن بالرسول غيرهما .

أنكر ولايته ولن يغفر له ، حتماً على الله ان يفعل ذلك بمن خالف امره فيه ، وان يعذبه عذاباً نكراً أبد الأبد ودهر الدهور ، فأحذروا ان تخالفوا فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .

أيها الناس : بي والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين ، وانا خاتم الانبياء والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من اهل السماوات والارضين فمن شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الاولى ومن شك في شيء من قولي هذا فقد شك في الكل منه ، والشاك في ذلك فله النار .

معاشر الناس : حباني الله بهذه الفضيلة منّاً منه علي واحساناً منه الي ، ولا إله إلا هو ، له الحمد مني أبد الآبدين ودهر الداهرين على كل حال .

معاشر الناس : فضلوا علياً فانه أفضل الناس بعدي من ذكر وانثى ، بنا انزل الله الرزق وبقي الخلق ، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من رد قولي هذا ولم يوافقه ، ألا ان جبرئيل خبرني عن الله تعالى بذلك ويقول : من عادى علياً ولم يتوله فعليه لعنتي وغضبي ، فليتنظر نفسي ما قدمت لغدٍ واتقوا الله ان تخالفوه فتزل قدم بعد ثبوتها أن الله خبير بما تعملون .

معاشر الناس : انه جنب الله نزل في كتابه .

« يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله » (٢٥) .

معاشر الناس : تدبروا القرآن وأفهموا آياته وانظروا الى محكماته ولا تتبعوا متشابهه ، فوالله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده الي وشائل بعضده ومعلمكم ان من كنت مولاه فهذا ( علي ) مولاه وهو علي بن أبي طالب اخي ووصي ، وموالاته من عز وجل انزلها عليَّ .

معاشر الناس : ان علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الاصغر والقرآن هو الثقل الاكبر (٢٦) ، وكل واحد منبيء عن صاحبه وموافق له ، لن يفترقا (٢٧) .

---

(٢٥) سورة الزمر / ٥٦ .

(٢٦) الثقل : متاع المسافر وحشمه ، والمراد بهاتين الجملتين أن متاع الانسان الذي ينجيه في يوم القيامة هو القرآن والعترة .

(٢٧) هذه الكلمة معناها : أن القرآن والعترة ـ الى يوم القيامة ـ متلازمين ، لا يمكن التفكيك بينهما ، فمن قال أنا آخذ بالقرآن ـ وهو لا يوالي العترة ولا يأخذ عنهم ـ فهو كاذب ،

حتى يردا علي الحوض ، ألا انهم امناء الله في خلقه وحكماؤه في ارضه ، الا وقد اديت ، ألا وقد بلغت ، الا وقد اسمعت ، الا وقد اوضحت ، ألا وان الله عز وجل قال وانا قلت عن الله عز وجل ، ألا انه ليس امير المؤمنين غير هذا ، ولا تحل امرة المؤمنين بعدي لأحد غيره .

( ثم ضرب بيده على عضده فرفعه ثم قال ) :

معاشر الناس : هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على امتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعي اليه ، والعامل بما يرضاه ، والمحارب لأعدائه ، والموالي على طاعته ، والناهي عن معصيته ، خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والامام الهادي وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله ، أقول : ما يبدل القول لدي بأمر ربي اقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من انكره واغضب على من جحد حقه ، اللهم انك أنزلت عليّ ان الامامة لعلي (ع) وليك عند نبياني ذلك عليهم ، ونصبي اياه بما اكملت لعبادك من دينهم ، وأتممت عليهم نعمتك ورضيت

---

ومن قال أنا موالي للعترة ـ وهو غير عامل بالقرآن فهو ـ ايضاً ـ كاذب .

لهم الاسلام ديناً ، فقلت : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » [٢٨] اللهم اني أشهدك اني قد بلغت .

معاشر الناس : إنما أكمل الله عز وجل دينكم بأمامته ، فمن لم يأتم به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه الى يوم القيامة والعرض على الله عز وجل فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

معاشر الناس : هذا علي أنصركم لي واحقكم بي واقربكم الي وأعزكم علي ، والله عز وجل وانا عنه راضيان ، وما نزلت آية رضى الا فيه وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به ، ولا نزلت آيـــة مـــدح في القرآن إلا فيه ، ولا شهـــد الله بالجنة في « هل أتى على الانسان » إلا له [٢٩] ، ولا انزلها إلا في سواه ولا مدح بها غيره .

معاشر الناس : هو ناصر دين الله والمجادل [٣٠] عن رسول

---

(٢٨) سورة آل عمران / ٨٥ .

(٢٩) في قوله تعالى : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » وما بعدها من الآيات .

(٣٠) بمعنى المحامي عن رسول الله ( ص ) .

الله ، وهو التقي النقي والهادي المهدي ، نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصى وبنوه خير الاوصياء .

معاشر الناس : ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي .

معاشر الناس : ان ابليس اخرج آدم من الجنة بالحسد ، فلا تحسدوه فتحيط اعمالكم وتزل اقدامكم ، فإن آدم أهبط الى الأرض بخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز وجل ، وكيف بكم وانتم انتم ومنكم اعداء الله ؟ ألا انه لا يبغض علياً إلا شقي ، ولا يتوالى علياً إلا تقي ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص ، في علي والله نزلت سورة العصر « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر » الى آخرها .

معاشر الناس : قد أشهدت الله وبلغتكم رسالتي وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

معاشر الناس : « أتقوا الله حق تقاته ولا تموتن وانتم مسلمون » .

معاشر الناس : « آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزل معا من قبل أنه نطمس (٣١) وجوهاً فنردها على ادبارها » .

معاشر الناس : النور من الله عز وجل في مسلوك ثم في علي

---

(٣١) نمحيها ونهلكها .

ثم في النسل منه الى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا ، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين والغاصبين مع جميع العالمين .

معاشر الناس : أنذركم اني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل افأن مت او قتلت انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ، ألا وان علياً هو الموصوف بالصبر والشكر ، ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس : لا تمنوا على الله اسلامكم فيسخط عليكم بعذاب من عنده انه لبالمرصاد .

معاشر الناس : سيكون من بعدي أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس : ان الله وأنا بريئان منهم .

معاشر الناس : انهم وانصارهم واشياعهم واتباعهم « في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوى المتكبرين » ، ألا انهم اصحاب الصحيفة فلينظر أحدكم في صحيفته (٣٢) .

---

(٣٢) قال الامام الباقر عليه السلام : « فذهب على الناس ـ إلا شرذمة منهم ـ أمر الصحيفة » اي : خفي على الناس المراد من الصحيفة .

معاشر الناس : اني أدعها امامة ووراثة في عقبي الى يوم القيامة ، وقد بلغت ما امرت بتبليغه احجة على كل حاضر وغائب ، وعلى كل أحد ممن شهد او لم يشهد ولد او لم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد الى يوم القيامة ، سيجعلونها ملكاً واغتصاباً ، ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين ، وعندها سنفرغ لكم أيها الثقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران(٣٣) .

معاشر الناس : ان الله عز وجل لم يكن يذركم « على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب » .

معاشر الناس : انه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله تعالى ، وهذا امامكم ووليكم ، وهو مواعيد الله والله يصدق وعده .

معاشر الناس : قد ضل قبلكم اكثر الأولين والله قد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين .

معاشر الناس : ان الله قد امرني ونهاني وقد امرت علياً ونهيته ، فعلم الأمر والنهي من ربه عز وجل ، فاسمعوا لأمره

---

(٣٣) الشواظ : لهب لا دخان فيه . والنحاس : الصفر المذاب ، أو ما بمعنى الشواظ .

تسلموا وأطيعوه تهتدوا وانتهوا لنهيه ترشدوا ، وصيروا الى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله .

معاشر الناس : أنا صراط الله المستقيم الذي امركم باتباعه ، ثم علي من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون .

(ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم « الحمد لله رب العالمين » الى آخرها ، وقال ) :

فيَّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمت واياهم خصت ، واولئك « اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ألا ان حزب الله هم المفلحون الغالبون ، ألا ان اعداء علي هم اهل الشقاق العادون واخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، ألا ان اولياءهم هم المؤمنون الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز وجل : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » الى آخر الآية . ألا ان اولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ألا ان اولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين ، وتتلقاهم الملائكة بالتسليم ان طبتم فادخلوها خالدين ، ألا ان اولياءهم الذين قال الله عز وجل :

« يدخلون الجنة بغير حساب » .

ألا ان اعداءهم الذين يصلون سعيراً الا ان اعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تغور ولها زفير كلما دخلت أمة لعنت اختها ، ألا ان اعداءهم الذين قال الله عز وجل : « كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير » الى قوله : « فسحقاً لأصحاب السعير » ، ألا ان اولياءهم الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

معاشر الناس : شتان ما بين السعير والجنة فعدونا من ذمه الله ولعنه ووليا من مدحه الله وأحبه .

معاشر الناس : ألا واني منذر وعلي هاد .

معاشر الناس : اني نبى وعلي وصي ، ألا ان خاتم الأئمة منا ( القائم ) المهدي ، إلا انه الظاهر على الدين ، ألا انه المنتقم من الظالمين . ألا انه فاتح الحصون وهادمها ، الا انه قاتل كل قبيلة من اهل الشرك ، ألا انه المدرك بكل ثأر لأولياء الله عزوجل ، الا انه الناصر لدين الله ، ألا انه الغراف (٣٤) من بحر عميق إلا أنه قسيم كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله ، الا انه خيرة الله ومختاره ، ألا انه وارث كل علم والمحيط به ، الا انه

---

(٣٤) صيغة مبالغة ، بمعنى : الكثير الغرف .

المخبر عن ربه عز وجل ، والمنبه بأمر ايمانه ، ألا انه الرشيد السديد ، إلا انه المفوض اليه ، ألا انه قد بشر به من سلف بين يديه ، ألا انه الباقي حجة ولا حجة بعده ، ولا حق إلا معه ، ولا نور إلا عنده ، ألا انه لا غالب له ، ولا منصور عليه الا وانه ولي الله في ارضه وحكمه في خلقه ، وامينه في سره وعلانيته .

معاشر الناس : قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم بعدي ، الا وان عند انقضاء خطبتي ادعوكم الى مصافقتي على بيعته والاقرار به ثم مصافقته بعدي ، ألا اني قد بايعت الله وعلي قد بايعني ، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز وجل .

« ومن نكث فانما ينكث على نفسه » الآية .

ثم يستأنف رسول الله ( ع ) قائلاً :

معاشر الناس : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما امركم الله عز وجل ، لئن طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعلي وليكم ويبين لكم ، الذي نصبه الله عز وجل بعدي ، ومن خلقه الله مني وأنا منه ، يخبركم بما تسألون عنه ، ويبين لكم ما لا تعلمون : الا ان الحلال والحرام اكثر من ان أحصيهما واعرفهما فآمر بالحلال وانهي عن الحرام في مقام واحد فأمرت ان آخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في علي

أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، الذين هم مني ومنه ائمة قائمهم فيه ( المهدي ) الى يوم القيامة الذي يقضي بالحق .

معاشر الناس : وكل حلال دللتكم عليه وكل حرام نهيتكم عنه فاني لم أرجع عن ذلك ولم ابدل ، الا فأذكروا ذلك واحفظوا وتواصوا به[٣٥] ولا تبدلوه ولا تغيروه ، ألا واني اجدد القول ، ألا فأقيموا الصلاة وآتو الزكاة وائمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، الا وان رأس الأمر بالمعروف ان تنتهوا الى قولي وتبلغوه من لم يحضره ، تأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته ، فانه امر من الله عز وجل ومني ، ولا امر بمعروف ، ولا نهي منكر إلا مع امام معصوم .

معاشر الناس : القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده ، وعرفتكم أنهم مني ومنه حيث يقول الله عز وجل « كلمة باقية في عقبه » وقلت : لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما .

معاشر الناس : التقوى التقوى ، وأحذروا الساعة كما قال الله عز وجل « ان زلزلة الساعة شيء عظيم » .

اذكروا الممات ، والحساب ، والموازين ، والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب ، ومن جاء بالحسنة أثيب

---

(٣٥) أي ليوصي احدكم الآخر بذلك .

ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب •

معاشر الناس : انكم اكثر من أن تصافقوني بكف واحدة في وقت واحد ، وامرني الله عز وجل أن آخذ من السنتكم الاقرار بما عقدت لعلي من إمرة المؤمنين •

ومن جاء بعده من الأمة مني ومنه على ما أعلمتكم ان ذريتي من صلبه ، فقوموا بأجمعكم انا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغت عن ربنا وربك في امر علي وامر ولده من صلبه من الأئمة ، نبايعك على ذلك بقلوبنا وانفسنا والسنتنا وايدينا ، على ذلك نحيا ونموت ونبعث ، لا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب ، ولا نرجع عن عهد ، ولا ننقض الميثاق ، ونطيع الله وعلياً امير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن والحسين الذين قد عرفتكم مكانهما مني ، ومحلهما عندي ، ومنزلتهما من ربي ، فقد ادبت ذلك اليكم فانهما سيدا شباب اهل الجنة ، وانهما الامامان بعد ابيهما علي وانا ابوهما قبله ، فقولوا :

أطعنا الله بذلك واياك وعلياً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت ، عهداً وميثاقا مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وانفسنا والسنتنا ومصافقة ايدينا — من أدركهما بيده واقربهما بلسانه —

لا ينتفي بذلك بدلاً ولا نرى من نفسنا عنه حولاً (٣٦) ابداً ( نحن نؤدي ذلك عنك الداني والقاصي من اولادنا واهالينا ) اشهدنا الله وكفى بالله شهيداً ، وانت علينا به شهيد ، وكل من اطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله اكبر من كل شهيد .

معاشر الناس : ما تقولون ؟ فان الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس ، « فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها » ومن بايع فانما يبايع الله « يد الله فوق أيديهم » .

معاشر الناس : فأتقوا الله وبايعوا علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة طيبة باقية ، يهلك الله من غدر ويرحم من وفا « فمن نكث فانما ينكث » الآية .

معاشر الناس : قولوا الذي قلت لكم ، وسلموا على علي بأمرة المؤمنين ، وقولوا : « سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

وقولوا : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

معاشر الناس : ان فضائل علي بن أبي طالب عند الله عز وجل،

---

(٣٦) اي : زوالاً وانتقالاً .

وقد انزلها في القرآن اكثر من أن احصيها في مقام واحد ، فمن انبأكم بها وعرفها فصدقوه .

معاشر الناس : من يطع الله ورسوله وعلياً والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً .

معاشر الناس : السابقون الى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بأمرة المؤمنين أولئك الفائزون في جنات النعيم .

معاشر الناس : قولوا ما يرضي الله عنكم من القول ، فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعاً فلن تضروا الله شيئاً ، اللهم اغفر للمؤمنين واعطب [٣٧] على الكافرين والحمد لله رب العالمين .

وقال الامام الباقر عليه السلام :

فنادته القوم : نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وامر رسوله بقلوبنا والسنتنا وأيدينا . وتداكوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى علي عليه السلام وصافقوا بأيديهم ، فكان أول من صافق رسول الله (ص) الأول والثاني والثالث والرابع والخامس [٣٨]

---

(٣٧) اي : أغضب اشد الغضب .

(٣٨) هم : ( ابو بكر ) و ( عمر ) ( وعثمان بن عفان ) و ( طلحة ) و ( الزبير ) كما وردت اسماؤهم مصرحة في تعقيب كثير من علماء السنة وحفاظهم لهذه الخطبة الجليلة .

وباقي المهاجرين والأنصار ، وباقي لناس عن آخرهم على قدر منازلهم الى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد ، والمغرب والعشاء الآخر في وقت واحد (٣٩) وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثا (٤٠) ورسول الله ( ص ) يقول كلما بايع قوم :

( الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين (٤١) ) . وصارت المصافقة سنة ورسماً يستعملها من ليس له حق فيها ... (٤٢)

انتهى

---

(٣٩) هذا ما يدل على جواز الجمع بين الصلاتين في وقت واحد ، وأن الرسول ( ص ) جمع بين الصلاتين .

(٤٠) اي : ثلاثة ايام ، حتى بايعوا عن آخرهم وهم مائة ألف او يزيدون .

(٤١) هذا التعقيب للخطبة العظيمة النبوية ونحوه ذكره أيضاً كثير من علماء السنة وحفاظهم ومؤرخيهم .

(٤٢) خطبة الغدير ، من منشورات مؤسسة الصادق عليه السلام ـ كربلاء .

مكتبة الروضة الحيدرية

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف